فلسطين والكتاب المقدس

ترجمة

د. عمر التومي الشيباني



كتاب الشعب ٤

فلسطين والكتاب المقدس

كتاب الشعب

فلسطين والكتاب المقدس

دراسات

ترجمة

د. عمر التومي الشيباني

منشورات

الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان

العدد ٤ — أبريل ١٩٧٨

الطبعة الأولى

أبريل ١٩٧٨ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المترجم

لقد أتيحت لي في الأيام القليلة الماضية فرصة قراءة كتاب : « فلسطين والكتاب المقدس » في نصه الإنجليزي . وما أن أتممت قراءته حتى أعجبت بما احتواه من أفكار قيمة وآراء صائبة ومناقشات موضوعية عميقة هادئة للجذور الدينية والتاريخية لأهم مشكلات عصرنا الحاضر وأكثرها تعقيداً وهي المشكلة الفلسطينية . فقد تكفل هذا الكتاب بالرد على الصهيونية فيما تدعيه من حق في انشاء دولة زمنية في فلسطين في الوقت الحاضر وفي احتلال الأراضي الفلسطينية بحجج منطقية وأدلة دامغة من نفس الكتاب المقدس الذي اعتمدت عليه الصهيونية بغير وجه حق — في تأييد دعاواها وادعاءاتها .

وقد دفعني إعجابي بهذا الكتاب وإيماني بفائدته وجدواه لكل مهتم بقضية فلسطين وبالجذور والأسس الدينية والتاريخية لهذه القضية ، إلى ترجمة كلماته ونقل معانيه الى اللغة العربية ليسهل الاطلاع عليه وتتسع فرص قراءته أمام متكلمي اللغة العربية .

وفصول هذا الكتاب هي عبارة عن أبحاث ومقالات علمية قام بها وكتبها نخبة من كبار علماء اللاهوت والمهتمين بدراسات الكتاب المقدس وبالقضية الفلسطينية . وقد قام الدكتور محمد المهدي مشكوراً بجمع هذه الأبحاث والمقالات والاشراف على تحريرها والتقديم لها ونشرها في هذا الكتاب الذي بين أيدينا .

ونحن اذ نترجم هذا الكتاب إلى اللغة العربية ونقدمه إلى قراء هذه اللغة، فإننا نرجو أن نكون قد ساهمنا بهذا العمل المتواضع في إثراء المكتبة العربية ، وفي تنشيط الحركة الثقافية في البلاد ، وفي زيادة الوعي بمختلف أبعاد قضيتنا الفلسطينية . والله هو الموفق ، وهو من وراء القصد ، وله الحمد أولاً وآخراً ، وإليه المرجع والمآب .

عمر التومي الشيباني

طرابلس ، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية

في ٢٨ شوال ١٣٩٦ هـ الموافق ٢١ اكتوبر ١٩٧٦ م

تصدير وتمهيد

بقلم نيافة ل. همفري وولز*

قد يبدو لاول وهلة : أنه خارج عن الموضوع أن يسأل شخص في مؤتمر صحفي : ماذا تعني كلمة « اسرائيل » في الكتاب المقدس ؟

هذا السؤال قد وجّهه اليّ فعلاً محرر الاخبار الخارجية في احدى صحف نيويورك ، عقب عودتي الى أمريكا مباشرة من الشرق الاوسط بعد احتلال اسرائيل لقطاع غزة وصحراء سيناء . وهو سؤال يعبر بحق عن بصيرة وعمق في الادراك للعوامل التي تكمن خلف مأساة الاحتلال الاسرائيلي الذي هدد أمن الارض المقدسة وحولها الى بؤرة تهديد مؤلم للسلام العالمي ، وآذى مدينة القدس بالذات وهي المدينة المقدسة بالنسبة لليهود والمسيحيين والمسلمين على السواء .

---

* إنه كاهن في الكنيسة المشيخية الاولى Presbyterian Church في مدينة «كراون بوينت» ، بولاية انديانا الاميركية . بذل جهداً واسعاً في برامج الكنيسة لمساعدة اللاجئين ، وكتب العديد من المقالات حول المشكلات الدولية للاجئين .

ان « وعد بلفور » الذي أدى الى تكوين اتجاهات معادية ضد بريطانيا بين العرب واليهود ، والتقسيم المتسرع الذي قامت به هيئة الامم لفلسطين والذي خلق شعوراً بالاشمئزاز والكراهية بين العرب والبريطانيين نحو الولايات المتحدة الامريكية وروسيا اللتين أيدتا قرار التقسيم ، وسنوات الجهد لانهاء الهدنة المجحفة في الحرب العربية — الاسرائيلية والتي كانت سنوات توتر بسبب الارتباك والتشوش والغموض في الموقف .

كلها عوامل أدت الى توترات حادة في الموقف ، وارتبطت هـذه التوترات بادعاءات متضادة من الاطراف المتنازعة قد تضمنها التعريف الذي كان يبحث عنه محرر وجامع مقالات هذا الكتاب والذي يسعى الكتاب لتزويد القارىء به .

ان محاولة توضيح أي موقف بشري معقد بعامل أو عنصر واحد هي — من غير شك — مبالغة في تبسيطه . ولكن بالرغم من ذلك ، فإن احداً لا يستطيع أن يلم بمجريات تعقيدات الشرق الاوسط (القضية الفلسطينية) دون الاعتراف بأن العنصر المحير والمقلق الرئيسي في الموضوع كان هو الجهل بما وعد به الكتاب المقدس وبمن هم المقصودون بهذا الوعد . فهل حزب الماباي الاسرائيلي على حق في ادعائه بأن كل فلسطين لليهود ؟ وهل اصرار « حزب حيروت » الاسرائيلي على أن الضفة الغربية لنهر الاردن يجب أن تلحق باسرائيل ، ولو بالقوة إن لزم الامر ، يمكن تبريره؟ ثم هل للفلسطينيين المسلمين والمسيحيين الذين أخرجوا من ديارهم بالقوة في سنوات ١٩٤٧ ، ١٩٤٨ ، ١٩٤٩ ، الحق في الرجوع الى أراضيهم

وممتلكاتهم الموروثة عن الاجداد ، كما تصر على ذلك البلدان العربية ؟

هذه أسئلة مشحونة بالعاطفة وتحمل في طياتها امكانيات تفجير الحرب ، ومع ذلك تستمد جذورها من ادعاءات يزعم أصحابها أن لها أصلاً من الكتاب المقدس .

ولتوضيح كيف أن الجهل بالحقائق الأساسية يمكن أن يقلب الاماني والرغبات الطيبة الى قوة تسبب الخطر والتحطيم ، يمكن أن أضرب مثلاً بواقعة حدثت لي شخصياً ، مفادها : أنني كدت أقتل طفلاً عربياً لاجئاً بلطفي وعطفي . !

ان هذه الواقعة قد حدثت في قطاع غزة ، وهو الشريط الساحلي المزدحم بسكانه وذو الارض الكثبة ، الذي يكون اللاجئون فيه اكثر من ثلثي سكانه ، وتقع أعمار نصف هؤلاء اللاجئين تحت سن السادسة عشرة وقد كان من بين هؤلاء طفل صغير جرح في حادث ، فحملته أمه المسعورة عليه فاقد التنفس — تقريباً — الى المستشفى المعمداني الأمريكي بالمدينة .

وقد رأى الدكتور « يونج » أنه من الضروري أن تجرى لهذا الطفل عملية جراحية في الحال . غير أن ما فقده من الدم الكثير عقب الحادث يجعل من الضروري جداً أن تجرى له عملية نقل للدم ، قبل أن تجرى له العملية الجراحية . ولكن الام المسكينة الملتلهفة على ابنها — لجهلها بالتحضيرات الضرورية للعملية — كانت في حالة هستيرية ، تقاوم بعنف ، شعوراً منها بأن ما يعمل لطفلها هو تهديد لحياته .

ولم تدرك الأم أن الطبيب المختص قد أخبرني بأنهم « مهتمون بسلامة طفلها الى درجة الاستعداد للتضحية بآخر باينت » (١) لهم من الدم من فصيلة « O » المتفقة مع فصيلة دمه لانقاذ حياته .

وقد بادرت بالتساؤل أمام الدكتور قائلاً : فصيلة « O » ؟ أعتقد أن هذه هي فصيلة دمي . وسوف أعطيك منها ما تحتاجه للطفل ، وبذلك تستطيع الابقاء على ما في مصرف الدم عندك من هذه الفصيلة .

وقد أعطيت دمي فعلاً ، فأسرع الدكتور « يونج » بالاغلاق المحكم لباينت الدم الذي قدمت له . ولكنه في الوقت نفسه أجرى اختباراً عليه للتأكد من أن فصيلته هي كما ذكرت . وقد كانت المفاجأة لي وللدكتور كبيرة عندما وجد أن الدم الذي قدمته — بعد اختباره — هو من فصيلة «A» وليس من فصيلة « O » وكان من الممكن أن يسبب ما تبرعت به كارثة لو استعمل على أنه فصيلة « O » ، وقد استأت مما حدث ولكن الدكتور « يونج » — ليخفف من غمي وكدري — علق على الموقف بقوله : « لا تأسف ، فانه يوجد كثير من الناس من بين العرب والأمريكان على السواء من لهم دم من فصيلة « A » ومن ثم فاننا سنستفيد مما تبرعت به » .

وهكذا كان حب الام لولدها واحساسي العميق بواجب العطف والجيرة نحوها — من الممكن أن يؤديا — نتيجة للجهل — الى قتل حياة طفل صغير بريء له قيمته . ولما كان الدكتور « يونج » يملك المعرفة والحب معاً فانه استطاع أن يوفر الوقت وينقذ حياة الطفل .

---

(١) الباينت وحدة وزن تساوي ثمن الجالون .

وكلما خرجت من المستشفى ونزلت الى الشارع الذي يسبق «قبر شمسون» ورأيت ذلك العدد الهائل من الناس القلقين النحفاء الذين يستطيعون أن يروا بالعين المجردة بيوتهم وممتلكاتهم ومناطقهم الأصلية ولكنهم لا يستطيعون الرجوع اليها ، فكرت في كل النوايا الطيبة الكثيرة التي صبت في فلسطين في العصر الحديث ، ولكن لربطها بالجهل أدت الى مأساة .

والعلماء الذين ساهموا بمقالاتهم في هذا الكتاب — على العكس من ذلك — ليسوا فقط لهم نواياهم الطيبة نحو العرب واليهود معاً ولكنهم يملكون أيضاً المعرفة العميقة الغزيرة التي يحاولون بها المساهمة في مساعدتك ومساعدتي على جعل نوايانا الطيبة تؤدي الى العلاج المفيد بدلاً من زيادة التعقيد لأسباب النزاع المأساوي بين العرب واسرائيل .

إننا مدينون لهؤلاء العلماء على مساهمتهم القيمة بالمعرفة التي يمكن أن تبث وتضيف دماً جديداً حسناً يفيد الموقف المريض .

وحتى لا يساء فهمي . فانني أصر علـى القول بأن المعرفة بدون حب يمكن أن تؤدي ايضاً الى كارثة لا تقل عن الكارثة التي يؤديها الحب بدون معرفة ، كمـا يوضح ذلك عصرنا العلمي الحديث . وبارجاع الكتّاب المساهمين في هذا الكتاب أفكارهم الى معاني الكتاب المقدس العميقة أكدوا لنا أنهم لن يستبدلوا تأكيداً غير متوازن بآخر . !

المقدمة

بقلم الدكتور وليام ف. ستاينسبرنج *

إنـه لمصدر رضى كبير لي أن أقدم الى جمهور القراء المقـالات والمناقشات التالية التي كتبها مواطنون ورجال دين . ويجب أن أشير بادىء ذي بدء الى أن الكتاب المقدس ــ بالنسبة للمسيحي ــ هو كـل متكامل يتكون من جزئين ، هما : العهد القديم ، والعهد الجديد . وكل منهما يعتبر ضرورياً ومكملاً للآخر . ومن ثم فان كلا الجزئين يجب أن يدرس ويكشف عن مكنوناته بعناية من قبل المسيحي الراغب في البحث عن أو في القول بما يقوله كتابه المقدس . وقد اهتم الاستاذ « غوليوم » في مقاله بالعهد القديم بصورة أساسية . مع أنه أشار في نهاية مقاله اشارة خفيفة الى العهد الجديد . وحاول الاسقف «شيرمان» أن يسبر أغوار كل من العهد القديم والعهد الجديد . أما الاستاذ « ستاج » والدكتور « سيلرز » فقد ركزا إهتمامهما على العهد الجديد .

---

* استاذ العهد القديم والدراسات السامية في جامعة « ديوك » وكاهن في الكنيسة المشيخية .

وبالرغم من أن هؤلاء الكتاب المسيحيين من بلدان مختلفة وينتمون الى فرق دينية مختلفة فان إجماع شهاداتهم أمر ملفت للنظر حقاً . فقد اتفقوا جميعاً على أنه لا يوجد أساس – لا في العهد القديم ولا في العهد الجديد – يدعم دعوى الصهيونية القائلة بأن الدولة اليهودية الحديثة في فلسطين لها ما يبررها أو يطالب بها في الكتاب المقدس أو في نبوءات الكتاب المقدس .

وأكثر من ذلك ، فانه أصبح واضحاً من مناقشات هؤلاء العلماء أن الوعود التي تضمنتها نبوءات الكتاب المقدس تنطبق على كافة الجنس البشري وليست خاصة باليهود أو الصهيونية ، وان مثل هذه الكلمات : « انتصار » أو « خلاص وانقاذ » في معناها الانجيلي السليم تشير الى معان وانجازات دينية وروحية وليس لاحتلال أو إخضاع أو تجريد للاعـــداء السياسيين .

وبتخصيص أكثر ، نستطيع القول : بأن كلمــات « اسرائيل » و« اسرائيل الجديدة » ، و«اسرائيل الرب » التي وردت في « العهد الجديد» انما تنطبق على الكنيسة المسيحية المثالية أو على تجمع المؤمنين الحقيقيين بالمعنى الديني .

ان الدليل لواضح على أنه لا يوجد مسيحي حقيقي يؤمن بالانجيل ، ويمكن أن تختلط عليه اسرائيل الحديثة التي أتت عن طريق العمل السياسي والقوة العسكرية واقترن انشاؤها بحرمان أو اقصاء سكانها الاصليين عنها ، «باسرائيل الرب» في «العقيدة المسيحية». انهما اسرائيليتان تناقض إحداهما الأخرى تماماً .

وهذا يفسر الازمة النفسية التي يعيشها كثير من السكان الأصليين المسيحيين في الشرق الأوسط اليوم ، فقد ظل هؤلاء – منذ اعتناقهم للدين المسيحي – يقرأون في أناجيلهم كلمة « اسرائيل » ، ولكنهم يفسرونها بمعناها البنّاء والمثالي والروحي ، ثم وجدوا فجأة أن هذه الكلمة قد أعطيت أو طبقت على شيء محطم لممتلكاتهم وأمنهم وحياتهم . إن كلمة إسرائيل اصبحت بالنسبة لهؤلاء المسيحيين حجر عثرة وعقبة تصدهم في كل مرة يحاولون فيها قراءة أناجيلهم . وقد وضع تقرير جماعة من المسيحيين هذه المشكلة في العبارات التالية :

« فكلمة اسرائيل تقزز الكنيسة الحاضرة (في الشرق الاوسط) ، وذلك بسبب ارتباطاتها وملابساتها السياسية المعاصرة . واكثر من ذلك ، فان هذه الكلمة تخلق رد فعل ضد التوجيه الكامل حول دعوة أو تسمية اسرائيل بشعب الله . وبخاصة بين اللاجئين الفلسطينيين المسيحيين ، فان تلك الارتباطات السياسية لهذه الكلمة تجعلهم أكثر مرارة ونفوراً منها ، لدرجة أنها تعوق استعمال أي نص من الكتاب المقدس يحتوي على كلمة اسرائيل أو يقترح فكرة « اسرائيل » (١) .

فهؤلاء المسيحيون المليئة قلوبهم بمشاعر الاحباط والألم والحسرة عليهم أن يفهموا أنه بالنسبة اليهم وبالنسبة لجميع المسيحيين تعتبر وعود العهد

---

(١) Refugees From Palestine. (Pamphlet of the Disvision of Foreign Missions, National council of Churches) N.Y. 1957، P. 15.

القديم قد تحققت منذ زمن بعيد تحققاً حرفياً كاملاً في التاريخ وفي الوحي الذي أنزل على عيسى عليه السلام . فمثلاً قد ورد في الآية الثالثة من الاصحاح الثاني في « سفر اشعياء » ما نصه : « من صهيون تخرج الشريعة ومن أورشليم كلمة الرب » (إشعياء ٢ : ٣).

فقانون وشريعة المسيح ـ عليه السلام ـ أو تعاليمه عن كلمة الرب أتت أو خرجت من مدينة القدس . وقد أصبحت اليوم تأتي من المؤمنين في أي مكان ، الذين يتكلمون بحق باسم هذا القانون وباسم الرب جل وعلا .

ولعل هذا التفسير للنص السابق يعتبر أكثر اقناعاً ، لان النص التالي له يتحدث عن نزع السلاح وعن السلام العالمي الواسع (١) . ومن ثم فانه من الممكن أن لا تكون أية إشارة أو صلة بموقف فلسطين الحديثة ، حيث تزدهر حياة جماعة على حساب جماعة أخرى .

ولك أن تعتبر أو تنظر الى الاصحاح الحادي عشر من « سفر اشعياء » أيضاً ، حيث انك تجد في آيات هذا الاصحاح ما يفيد أن شعب الله الذي كان منفياً أو مبعداً عن أرضه سوف يرجع اليها من مختلف الاراضي والمناطق الافريقية والاسيوية التي كانوا مشتتين فيها . وفي هذا الاصحاح محاولة للتوفيق بين اسرائيل الشمالية ويهوذا الجنوبية ولازالة العداء القديم بين الجانبين . كما فيه تنبؤ بتشكيل مملكة جديدة سوف تسلب وتستبعد

---

(١) جاء في الآية الرابعة : « فيقضي بين الأمم وينصف لشعوب كثيرين فيطبعون سيوفهم سككاً ورماحهم مناجل . لا ترفع أمة على أمة سيفاً ولا يتعلمون الحرب فيما بعد » (اشعيا ٢ : ٤) .

شعوباً مجاورة ومحيطة بها ، وذلك مثل الأدوميين والموابيين والعمونيين (اشعياء ١١ : ١٠ — ١٦) .

ولكن علينا أن ندرك أن كل ما تنبأت به آيات الاصحاح السابق من « اشعياء » قد تحقق بالفعل ومضى في فترة حكم المكابيين ، وذلك عندما استطاع ملوك اليهود أن يحكموا كل فلسطين وأن يجتاحوا المناطق والأقاليم المحيطة بفلسطين . وتهدم أو خراب مصر القديمة قد تنبأت به آيات الاصحاح السابق أيضاً . وهذا الخراب قد تحقق عن طريق نجاح الفاتحين للبقاء لفترة أطول .

وهكذا نجد أن نبوءات الكتاب المقدس قد تحققت في فترة من فترات التاريخ الماضية واذا كانت قد تحققت في الماضي فانها ليست في حاجة الى التحقق ثانية في العصر الحديث بل تحققها ثانية لا يمكن أن يتم ، خاصة في الازمنة الحديثة التي تغيرت فيها الظروف تغيراً جذرياً . وحتى الأسماء القديمة لم يبق منها الا القليل . والقليل الباقي منها يختلف في معناه وفيما يرمز ويشير اليه عما كان يعنيه ويرمز ويشير اليه قديماً .

ان محاولة جعل النص القديم يناسب حرفياً الظروف الجغرافية والتاريخية والسياسية الحاضرة — بعد حوالي ألفين أو ثلاثة آلاف سنة — تعد جحوداً لعملية التغير التي أرادها الله للتاريخ البشري . والثبات أو الديمومة التي تمتاز بها رسالة الكتاب المقدس تأتي من تقديمه وعرضه لمبادىء خلقية ودينية . وليست من الانطباعات والتصورات التخيلية والوهمية من أجل ترتيبات ومكاسب سياسية حديثة . ليس هناك تحريف يمكن أن يتخيله

الانسان ــ للكتاب المقدس أكبر وأخطر من استعماله لتبرير طرد الفلسطينيين المحدثين من بيوتهم واراضيهم ، سواء أكانوا مسيحيين أم مسلمين تسوية لهم بقدماء الفلسطينيين والادوميين والموابيين والعمونيين.

وقد يحتج المناصرون لاسرائيل بمناقشة القديس بولس « للعلاقة بين اليهود والمسيحية في أيامه التي تضمنتها (رسالته الى اهل روما : الاصحاحات التاسع والعاشر والحادي عشر) ، على أساس أن هذه المناقشة تؤيد فكرة اسرائيل السياسية الحديثة ، وخاصة تلك الآية التي تضمنها الاصحاح الحادي عشر والتي جاء فيها : « وهكذا سيخلص جميع اسرائيل . كما هو مكتوب سيخرج من صهيون المنقذ ويرد الفجور عن يعقوب » (رسالة القديس بولس الى اهل رومية ١١ : ٢٦) . ولا يمكن أن يكون هناك اكبر خطأ وأكثر منافاة لما يعنيه كلام « القديس بولس » في رسالته السابقة من هذا الفهم الخاطىء المنحرف لكلامه .

إن ما يريد أن يقوله « القديس بولس » ببساطة هو أنه حزن حزناً عميقاً بسبب أن معظم إخوانه السابقين في الدين من اليهود لم يقبلوا السيد المسيح ، على أن بعضهم قد قبله . وقد بدا له في ذلك الوقت أن الكنيسة المسيحية ستكون السيطرة فيها لغير اليهود من الوثنيين وستستمر هذه السيطرة لفترة من الزمن . وقد حض القديس بولس « المسيحيين من غير أصل يهودي على أن لا يصبحوا متعصبين أو مغترين ومفتخرين بأخلاقهم أو متكبرين على اليهود الذين لم يدخلوا المسيحية ، ودعاهم الى الاستمرار في حبهم ــ كما فعل هو ــ خاصة لما ساهموا به في خلفية واصول الديانة المسيحية . ومن

أجل هذا قال « القديس بولس » ان الانجيل للجميع ، وان اليهود وغير اليهود متساوون ومتشابهون . وخلص من ذلك بالتمني : أن كل اليهود « كل اسرائيل » سوف يدخلون في المسيحية بعد أن دخلها عدد كبير من الوثنيين .

وليس لهذا النص الــذي نقلناه من « رسالة القديس بولس الى أهل رومية » أي تضمينات سياسية أو قومية (١)

وكاتب المقال الثاني في هــذا الكتاب هو رجل الدين اليهودي الحاخام الموهوب الدكتور « إيلمر بيرجر » وعلينا أن نلاحظ أنه في اليهودية يعتبر العهد القديم هو المكون الوحيد للكتاب المقدس . ومن ثم فإن الدكتور « بيرجر » يأخذ أو يعتمد على نفس الأساس المقدس الذي اعتمد عليه الاستاذ « غوليوم » في المقام الأول . ويتوصل إلى نتائج متشابهة جداً مع نتائجــه . وحتى بدون العبارات الخاصة التي وردت في العهد الجديد بخصوص الطبيعة الروحية والدينية للوعود المعطاة لاسرائيل (بني إسرائيل)، فان العهد القديم وحده – في معناه الحقيقي وبالتفسير الحقيقي والأمين لنصوصه – يشير إلى المملكة الروحية التي هي لجميع البشر وليست لاسرائيل السياسية الحديثة التي تحتل أراضي ومساكن تخص طبيعياً أناساً آخرين ، وتنزل ببعض سكانها الى مواطنين من الدرجة الثانية . وأكثر من ذلك ، فإن اليهودية تشبه المسيحية ، لها تاريخ وتقاليد مستمرة منذ عصور

(١) تنظر ملاحظات الدكتور سليرز على هذا النص في المقال الرابع من هذا الكتاب .

الكتاب المقدس . والنظر الثاقب الحكيم في هذا التقليد المستمر يقود قطعاً إلى إسرائيل الروح وليس إلى إسرائيل الجسد والمادة . وقديماً قد أتت التوراة وهي المعبرة عن التعاليم أو الشريعة اليهودية من القدس ، كما ورد في (سفر اشغياء ٢ : ٣) السالف الذكر . ولكنها اليوم تأتي من الأولياء والحكماء اليهود أياً كان موطنهم . فهم الذين يعلنون « كلمة الرب » . لأن جبل صهيون أو كنيسة الله الباقية تسكن في قلوب الناس .

إن الحقيقة عظيمة . ولا بد أن تنتصر في النهاية إسرائيل الروحية التي تتكون من كل جنس وعرق ومناخ ولهذه الغاية النبيلة قد كرست نفسها المناقشات التي تضمنتها مقالات هذا الكتاب .

الصهاينة والكتاب المقدس

(نقد للدعوى القائلة بأن تأسيس دولة يهودية مستقلة في فلسطين هو تحقيق لنبوءة في الكتاب المقدس)

بقلم الاستاذ ألفريد غوليوم*

أود أن يكون واضحاً منـــذ البداية أن الملاحظات التي سأذكرها هي موجهة الى مظهر أو جانب واحد من الادعاءات الصهيونية ، وهو الادعاء القائل بأن تأسيس دولة يهودية في فلسطين هو تحقيق لنبوءة الكتاب المقدس وبأنه من الواجب الا يفسر الكتاب المقدس بما يحول بين اليهود وبين بناء وطن لهم في فلسطين .

قد يبدو لأول وهلة بالنسبة للقارىء السطحي ، أن وعداً مقدساً باعطاء أرض لشعب معين تم منذ أربعة آلاف سنة مضت — يجعل هذا الشعب مالكاً لتلك الارض عن طريق الحق الالهي أو الحق المقدس الموروث . فاذا كان المقصود من ذلك الادعاء هو صبغ فلسطين بصبغة يهودية أو اعطاؤها عنواناً يهودياً — فانه حينئذ لا بد أن يفحص ذلك الادعاء بدقة وعنايـــة . واني لأقترح لدحض ذلك الادعاء فحص ومناقشة بعض

* إنه أستاذ دراسات العهد القديم في جامعة لندن وقد كتب عدة كتب وأبحاث حول العهد القديم ، وهو أحد المحررين لكتاب « تراث الاسلام».

النصوص القليلة والمألوفة لجميع اليهود والتي لها تأثيرها العميق على بعض الجماعات المسيحية ، خاصة في أمريكا .

والنقاط المهمة في الموضوع هي كالآتي :

١ ــ لمن كانت تلك الوعود التي وردت في الكتاب المقدس ؟

٢ ــ ما هو امتداد الارض التي تم الوعد بها ؟

٣ ــ هل كان ذلك الوعد غير قابل للنسخ أو الالغاء ؟ وهل انه خاضع لأي شرط من الشروط ؟

١ ــ لمن كانت تلك الوعود :

إن أول وعد ورد في التوراة باعطاء أرض فلسطين لنسل إبراهيم عليه السلام كان في « شكيم » التي أصبحت تسمى فيما بعد « بنابلس » . فقد ورد في الاصحاح الثاني عشر من سفر التكوين بخصوص أول هذه الوعود ما نصه : « وظهر الرب لابراهيم وقال لنسلك أعطي هذه الأرض » (سفر التكوين ١٢ : ٧) . وقد تكرر هذا الوعد بعبارة قريبة من العبارة السابقة في الاصحاح الثالث عشر التالي من نفس سفر التكوين . حيث جاء فيه : « وقال الرب لابراهيم .. ارفع عينيك وانظر من الموضع الذي أنت فيه شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً . لأن جميع الأرض التي أنت ترى لك أعطيتها ولنسلك الى الأبد » . (سفر التكوين ١٣ : ١٤ ــ ١٥) .

وقد جاء هذا الوعد أكثر وضوحاً في الاصحاح الخامس عشر من نفس السفر السابق فقد ورد فيه : « في ذلك اليوم قطع الرب مع إبراهيم ميثاقاً قائلاً : لنسلك أعطي هذه الارض من نهر مصر إلى النهر الكبير،

نهر الفرات » (سفر التكوين ١٥ : ١٨)

وقد ورد هذا الوعد أيضاً في الاصحاح السابع عشر من نفس السفر السابق ، وذلك عندما اتخذ ابراهيم عليه السلام عهداً مع ربه عن طريق الختان : « وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان ملكاً أبدياً وأكون إلههم » (سفر التكوين ١٧ : ٨) .

وقد تكررت هذه الوعود بعد ذلك الى اسحاق ويعقوب عليهما السلام. فمن ذلك ما ورد في الاصحاح الثامن والعشرين من السفر السابق : « فقال أنا الرب إله ابراهيم أبيك وإله اسحاق . الارض التي أنت مضطجع عليها أعطيها لك ولنسلك . ويكون نسلك كتراب الارض . وتمتد غرباً وشرقاً وشمالاً وجنوباً ، ويتبارك فيك وفي نسلك جميع قبائل الارض » . (سفر التكوين ٢٨ : ١٢ — ١٤) .

وهناك نصوص أخرى قد وردت في العهد القديم ومن الممكن اقتباسها. ولكننا نعتقد أن ما اقتبسناه يكفي لانه يكون عينة ممثلة ، والنصوص الأخرى الباقية قد لا تضيف شيئاً هاماً جديداً في هذا المقام .

والافتراض أو الاعتقاد السائد الآن (بين معظم اليهود على الأقل) أن هذه الوعود أعطيت لليهود وحدهم . ولكن هذا الاعتقاد السائد بين اليهود ليس هو ما يقوله أو يعنيه الكتاب المقدس . فكلمة : « الى نسلك أو ذريتك » تشمل بكل تأكيد العرب : المسلمين منهم والمسيحيين على السواء ، لانهم يستطيعون الادعاء بحق أنهم من ذرية ابراهيم عليه السلام عن طريق ابنه إسماعيل عليه السلام (وليس يهمنا هنا مناقشة النصوص

والآثار الاسلامية التي تذكر بل تؤكد أن إبراهيم عليه السلام كان مرة في مكة وترك ابنه اسماعيل هناك) . فإسماعيل عليه السلام يعتبر أباً لعدد كبير من القبائل العربية . وسفر التكوين نفسه من العهد القديم يسجل أن إبراهيم عليه السلام اصبح أباً لكثير من القبائل العربية الشمالية عن طريق جاريته « هاجر المصرية » ولا يستطيع أحد أن يثبت بالحجة والبرهان القاطعين أن كلمات سفر التكوين بهذا الخصوص تلغي الفكرة القائلة بأن الوعود التي وردت في الكتاب المقدس قد أعطيت لذرية إبراهيم ككل (يهوديهم ومسيحيهم ومسلمهم) .

فقد جاء في الاصحاح الحادي والعشرين من سفر التكوين ما نصه :

« ورأت سارة ابن هاجر المصرية الذي ولدته لإبراهيم يمرح . فقالت لابراهيم اطرد هذه الجارية وابنها . لان ابن هذه الجارية لا يرث مع ابني اسحاق . فقبح الكلام جداً في عيني ابراهيم لسبب ابنه . فقال الله لابراهيم لا يقبح في عينيك من أجل الغلام ومن اجل جاريتك . في كل ما تقول لك سارة اسمع لقولها . لأنه بإسحاق يدعى لك نسل . وابن الجارية أيضاً سأجعله أمة لأنه نسلك » (سفر التكوين ٢١ : ٩ — ١٣)

حقيقة أنه منذ هذه الواقعة التي عبر عنها النص السابق والنصوص التالية له ، قد أصبح نسل إسحاق — وهم نسل إبراهيم — يسمون ببني إسرائيل. ولم يكونوا قبل ذلك يسمون بهذا الاسم . وذرية إسماعيل كذلك لهم كل الحق أن يسموا ويعتبروا أنفسهم ذرية إبراهيم (التي تشملها تلك الوعود).

أضف إلى ذلك ، أنه عندما تم عهد الختان بين إبراهيم وربه ووعد

إبراهيم بإعطائه ونسله كل أرض كنعان ملكاً أبدياً ، فإن الذي تم ختنه بعـــد هذا العهد مباشرة هو إسماعيل ، لأن إسحاق لم يولد بعد في ذلك الوقت . (ينظر : سفر التكوين ١٧ : ١ — ٢٧)

ولعله أصبح واضحاً من المناقشة السابقة لوعود الكتاب المقدس لذرية إبراهيم أن القسم الأول منها — وهو المتجه إلى إبراهيم وذريته — يشمل بكل تأكيد ذرية اسماعيل ، ولكن هذا الوعد قد ضيق بعد ذلك في عصر إسحاق ويعقوب ليصبح قاصراً على نسلهما . ولكن هذا التضييق لم يكن بالطريقة التي يمكن معها استبعاد إخوانهم العرب من الوعد ، حيث انه من المعروف جداً أن كثيراً من العرب رافقوا موسى ويشوع عليهما السلام الى فلسطين عندما احتلت البلاد جزئياً . وكثير من النجاح الذي احرزه موسى عليه السلام كان يرجع الى لطف وكرم « يثرون سيد مدين» الذي كان عربياً بطبيعة الحال وصهراً لموسى عليه السلام .

٢ — ما هو امتداد الأرض التي تم الوعد بها ؟

وبخصوص السؤال الثاني الذي سبقت إثارته في بداية هذا البحث والذي يتعلق بامتداد الارض الموعود بها في الكتاب المقدس لدى اليهود ، فانه من الصعب تحديد حدود هذه الارض . والنصوص التي اقتبسناها في الفقرة السابقة تبدأ باشارة غامضة الى هذه الارض . فهي تبدأ من بداية نابلس وتستمر بعد ذلك لتشمل كل المنطقة الممتدة من نهر مصر إلى نهر الفرات . ويجب التنبيه الى أن الوعد الذي تضمنه النص الثالث من النصوص المشار اليها في الفترة السابقة بمملكة تمتد من النيل الى الفرات كان قبل

مولد اسماعيل واسحاق عليهما السلام . ومن ثم فإن هذا الاقليم الموعود به ليس ضرورياً أن يكون اسرائيلياً صرفاً . واذا ما استثنينا الفترة القصيرة التي تم الاعتراف فيها بسلطة سليمان عليه السلام في المنطقة ـ كما يبين ذلك (سفر الملوك الاول ٤ : ٢١) ـ فان هذه المنطقة كانت على الدوام تحت سلطة العرب ومن ممتلكاتهم .

وهكذا إذا نظرنا أيضاً الى نص (سفر التكوين ١٣ : ١٥) ، فاننا نجد بوضوح أن الارض الممتدة عبر نهر الاردن كانت موعوداً بها لابراهيم عليه السلام ، لانه يمكن رؤيتها بوضوح من المرتفع في البقعة المقدسة ببيت لحم ، ولكن هذا الوعد مرة ثانية كان سابقاً لمولد اسماعيل واسحاق عليهما السلام . ومـــن ثم فانه لا يمكن أن يعتبر دليلاً مؤيداً للادعـــاء الاسرائيلي بقصر ملكية المنطقة الواقعة على الجانب الآخر للأردن على اليهود .

على أي حال ، لقد أخبر موسى شعبه ـ كما ورد في (سفر التثنية) ـ بأن الله أوصاهم أن يذهبوا ويحتلوا البلاد الواقعة من البحر الابيض المتوسط في الغرب الى نهر الفرات في الشرق ، ومن النجف في الجنوب الى لبنان في الشمال . ولكن هذه التعليمات لم ينفذها الاسرائيليون أو لم يستطيعوا تنفيذها . فهم لم يستطيعوا احتلال الارض الشاطئية التي كان يسكنها الفلسطينيون ولم يمتلكوا قط الموانىء أو المنطقة الخلفية للفينيقيين . على أنه في قرون لاحقة في فترة حكم داود عليه السلام ملكوا مدينة دمشق ودخل داود عليه السلام في معاهدة صداقة مع « حيرام » ملك صور .

ولهذا فان سليمان عليه السلام عندما أقام صلاة شكر عظيمة بمناسبة اتمام بناء الهيكل فان ولاة وممثلين أتوا من أقاصي الشمال ، مثل إقليم حماة ، ومن أقاصي الجنوب مثل منطقة العريش .

ولكن قبل انتهاء حكم سليمان عليه السلام ، فإن كثيراً من امبراطورية داود عليه السلام رجعت الى ملاّكها السابقين . وكل واحد يعرف أن عملية التآكل والتقلص استمرت حتى أصبحت مملكة يهوذا قاصرة على عدد قليل من مئات الأميال المربعة من الأرض حول مدينة القدس ، وحتى هذه المملكة الصغيرة سقطت في يد البابليين في عام ٥٩٧ (ق. م.) .

٣ ـ هل كان ذلك الوعد غير قابل للنسخ أو الالغاء ؟

قد لوحظ أن نصين من النصوص التي تم اقتباسها في الفقرة الأولى من هذا البحث يستعملان إحدى الكلمتين الآتيتين : « الى الأبد » أو « أبدي » للاشارة الى ديمومة الاحتلال الاسرائيلي لفلسطين . ولكن لا بد من التنبيه في هذا الصدد الى أن الكلمتين السابقتين لا تعبّران عن الترجمة الدقيقة المناسبة للكلمة العبرية الاصل وهي كلمة « عُلم » . فهذه الكلمة العبرية « عُلم » تحتمل عدة معان ، قد يكون من بينها : « زمناً طويلاً » ، « القدم » ، أو الأبدية والخلود . ونحن نقرأ عبارات أخرى مماثلة مثل : « أيام القدم » ، « وأماكن القدم » و « منافذ وأبواب القدم » ، « ومن القدم » ، وغيرها من التعبيرات المماثلة التي يستعمل كبديل عنها جميعاً كلمة « الى الأبد » أو « أبدي » . ومرة ثانية يقول ناظم الترانيم : « أغنّي

الى الابد » . ومثل هذا التعبير لا يستطيع اكثر المفسرين حرفية للكتاب المقدس أن يدعي أنه المعنى الحرفي للكلمات الاصلية للكتاب المقدس .

وبجمع جوانب الدليل الذي تم ايراده في هذا البحث حتى الآن ، فان الانسان يجد نفسه منساقاً الى الاستنتاج القائل بأن أرض فلسطين لم يكن الوعد بها خاصاً باليهود وحدهم ، وقد جاءت هذه الارض في الوعد الأول غير محددة « هذه الارض » ثم وسعت بعد ذلك في الوعود اللاحقة تشمل ما هو عبر نهر الاردن ، وسوريا ، ولبنان ، وأرض البادية حتى نهر الفرات . وأخيراً فاننا نرى انه لم يوجد وعد غير مشروط ومقيد بقيود بملكية أرض ملكية أبدية . فقد يكون هذا التملّك لفترة طويلة من الزمن أو لفترة غير محددة ولكنه لا يمكن أن يكون الى الابد .

لقد وصلنا الآن الى مرحلة من التاريخ والتنبؤ التي تحمل بطريقة أكثر مباشرة على مساوىء الفهم الجارية للتنبؤ العبري . وبالرغم من أنه لا توجد لدينا الآن رسالات وحيية توجهنا في تفسيرنا وفهمنا ، فانه من الواضح جداً أن تلك الوعود بملكية أرض كنعان كانت مشروطة . فالعلاقة التعاهدية بين اسرائيل والرب تتطلب ولاء وصلاحاً واستقامة من الشعب على المستوى الفردي والجماعي . حتى اذا ما فشل الشعب في تحقيق هذه الامور والتمسك بها فان قدراً أو مصيراً مشؤوماً ينتظره . والكلمات التالية التي تكلم بها موسى عليه السلام في «الاصحاح الثامن والعشرين من سفر التثنية » تنطبق جزئياً بسهولة على المعاناة والمآسي التي تعرض لها اليهود في السنوات القليلة الماضية والتي رأى فيها كثير من الناس نبوءة

عصورنا الحاضرة . لقد قال سيدنا موسى ما يلي :

« وان سمعت سمعاً لصوت الرب إلهك لتحرص أن تعمل بجميع وصاياه التي أنا أوصيك بها اليوم يجعلك الرب إلهك مستعلياً على جميع قبائل الأرض ....

ولكن ان لم تسمع لصوت الرب إلهك ... تأتي عليك جميع هذه اللعنات وتدركك : ملعوناً تكون في المدينة وملعوناً تكون في الحقل ... ويبددك الرب في جميع الشعوب من أقصى الارض الى اقصاها ، وتعبد هناك آلهة أخرى لم تعرفها أنت ولا أباؤك من خشب وحجر ، وفي تلك الامم لا تطمئن ولا يكون قرار لقدمك ، بل يعطيك الرب هناك قلباً مرتجفاً وكلال العينين وذبول النفس ، وتكون حياتك معلقة قدامك وترتعب ليلاً ونهاراً ولا تأمن على حياتك ... » (سفر التثنية ٢٨ : ١ — ٦٨) .

وهنا يبدو واضحاً أن الوعود المقدسة لآباء اليهود بسبب الردة الوطنية. وعندما طرد الاشوريون شعب «سماريا» وطرد البابليون شعب «يهوذا» ، رأى الانبياء في هذه الكوارث والنكبات التي نكب بها بنو اسرائيل اثباتاً للعدل المقدس على الشعب العاصي والمنكر .

ولكنهم اعتقدوا في شعبهم أن بقية منه سوف ترجع وتعيد بناء الهيكل، وتقيم الحياة الدينية للجماعة . وكانوا يتطلعون الى الوقت الذي تصبح فيه الارض مملوءة بمعرفة الرب . وغالباً ما نسي ان هؤلاء الرجال كانوا شعراء ملهمين يمزجون الأمور العملية مثل العودة من المهجر أو المنفى

البابلي بصور سامية عالية للصحراء كالورد المتفتح ، والأسد النائم بجانب الحمل ، والرجال الذين يطرقون سيوفهم ويحولونها الى مناجل ، ونبذ الحرب الى الأبد انهم تنبأوا أيضاً باقامة مملكة داود عليه السلام .

وبكل أسف أن الأمور العملية في تلك النبوءات قد تحققت ، وان المثالي منها بقي مثالياً.وبسبب الحقيقة التي مفادها أن الأشياء التي يحن اليها الناس المتدينون لم تتحقق عندما رجع اليهود الى فلسطين ، فان اتجاها ظل سائداً في الماضي نحو تفسير وتأويل النصوص التي وردت في كلام الانبياء ونبوءاتهم . ليس فقط بالنسبة للنبوءات المتعلقة بالأمور الأخروية ، بل كذلك بالنسبة للنبوءات العملية والسياسية . وسيبقى هذا الاتجاه لبعض الوقت في المستقبل . وهذه النبوءات مثل كل النبوءات في العهد القديم ترتكز بالضرورة حول الشعب اليهودي وحول علاقة هذا الشعب بربه . إن العصر الذهبي لليهود لا يمكن فصله مـن المدينـة المقدسة المسكونة بالاسرائيليين الصالحين . وقد يبدو أن الأمل لدى بعض الناس في أنه اذا ما استطاع اليهود أن يرجعوا الى فلسطين ويشكلوا دولة لهم فان العصر الذهبي سوف يظهر على الارض بطريقة خفية .

ولكن وجهات النظر التي من هذا القبيل تعتبر تحريفاً لنبوءات العهد القديم التي تنبأت برجوع اليهود من بابل ومن كل الاراضي التي نفوا اليها . فهذه النبوءات قد تحققت في الماضي ، فرجع اليهود الى يهوذا ، وأعادوا بناء حوائط مدينة القدس ، كما بنوا الهيكل . وبعد حظوظ متفاوتة ومتقلبة استطاعوا أن يحققوا فترة قصيرة من الاستقلال السياسي والتوسع

تحت حكم المكابيين . ومن ثم فان نبوءات العودة من المنفى قد تحققت بالفعل في الماضي ولا يمكن أن تتحقق ثانية . ففي قوانين العهد القديم لا توجد نبوءة بعودة ثانية بعد العودة من المنفى البابلي ، لأنه ، أولاً : بعد النفي ، كل اليهود الذين رغبوا في الرجوع من منفاهم استطاعوا أن يرجعوا الى الارض المقدسة . وقد بقي كثير منهم في أرض المنفى ، ليكوّنوا جماعة خاصة أصبحت فيما بعد العمود الفقري للكنيسة المسيحية ، ثانياً: أن آخر أنبياء بني اسرائيل قد توفي قبل هدم مدينة القدس بقرون في ٧٠ ق. م.

إنه من الممكن أن ينتقد الادعاء القائل بأن الكتاب المقدس قد تنبأ بسيادة اليهود في فلسطين من وجهة نظر النقد العالي للكتاب المقدس . ولكن هذا الاتجاه قد تم تجاهله عن قصد ، وترك الكتاب المقدس يتحدث عن نفسه .

ومرة ثانية ، انه من الممكن أن تستعمل حجج العهد الجديد للبرهنة على أن الكنيسة الآن هي اسرائيل الرب ، ولكن هذا الاستعمال يبدو أنه غير مستحسن . إن هذه الدراسة القصيرة ليست بأي حال من الاحوال هجوماً ولا جدلاً ، ولكنها فحص مختصر لما قاله العهد القديم بخصوص بعض المسائل التي فيها سلطته قد استحضرت .

هل اسرائيل هي تحقيق لنبوءة الكتاب المقدس ؟

بقلم الدكتور ايلمر بيرجر

منذ القرن السابع قبل الميلاد الذي كان يتميز بظهور الانبياء الادباء العظام للعهد القديم ، كان هناك تياران للفكر أو للايديولوجية في اليهودية.

فأحد هذين التيارين كان يركز بصراحة على السمات والخصائص الوطنية والخاصة باليهودية . بينما كان الاتجاه الثاني يركز على الخصائص والجوانب العالمية . وفي بعض الاحيان كانت تظهر شخصية أو جماعة فتحاول التوفيق واحداث التوازن أو المزج بين هذين الاتجاهين أو القوتين المتعارضتين بالضرورة .

ولكن الأمر الغالب اكثر من غيره منذ أيام « موسى » ، وهو أول الانبياء الأدباء العظام لليهود ، هو انقسام اليهود الى طائفتين بين الاتجاهين أو التفسيرين السابقين لعقيدتهم اليهودية .

وفي اي جهد يبذل لتقويم وجود أو عدم وجود أسس مستمدة من الكتاب المقدس لدولة اسرائيل الحاضرة ، فانه لا بد فيه من الاعتراف بذالكما الاتجاهين أو التفسيرين لليهودية .

لأنه لا يمكن أن ينكر أن الطائفة أو المدرسة الفكرية الدينية التي اكدت الخصائص الوطنية والمميزة لليهودية تعتبر أن الرجوع النهائي الى جبل صهيون بالقدس هو أمر ذو أهمية دينية وعقائدية . أما بالنسبة للمدرسة الفكرية الثانية التي تقابل المدرسة الاولى والتي سارت على تأكيد الجوانب العالمية للعقيدة والشريعة اليهودية فان الرجوع الى جبل صهيون بمعناه الفيزيقي والسياسي ليس له أي اعتبار أو قيمة عندها ، فبالنسبة لهـذه المدرسة الفكرية أو الطائفة ، كل ما يمكن أن يقوله الكتاب المقدس حول « الرجوع الى جبل صهيون » ليس له صفة إلزامية أكثر مما يقوله الكتاب المقدس أو التغيرات الحاخامية والحبرية اللاحقة بخصوص القوانين الغذائية والتقاليد اللائقة بالكهنة والسلوك الكهنوتي وبخصوص القوانين المتعلقة بالممارسات القربانية للهيكل أو المعبد القديم .

فهؤلاء اليهود الذين يتبعون القيادة العالمية للأنبياء ، هم – بصراحة وباعتراف شخصي منهم – « بروتستانت » ، أي محتجون أو احتجاجيون. وهم ليسوا أكثر التزاماً وتقيداً في سلوكهم الديني بأي جهد يبذل – مهما كان حسناً أو سيئاً – لفهـم الكلمة الحرفية للكتاب مـن المحتجين أو الاحتجاجيين المتحررين في أي دين آخر .

هذا الاتجاه التحرري العالمي قد جعل صريحاً في عام ١٨٨٥ في وثيقة تاريخية لا تزال تعتبر البيان الكلاسيكي أو التقليدي لهذه الحركة اليهودية المتحررة الاحتجاجية ، أو كمـا تسمى في الولايات المتحدة الاميركيـة «باليهودية الاصلاحية» . والوثيقة التي تضمنت هذا البيان تسمى « بيان

بتسبرج » ـ نسبة الى مدينة «بتسبرج» بولاية بنسلفانيا الامريكية . فجماعة من كبار حاخامات اليهود وأحبارهم اجتمعوا في مدينة « بتسبرج » ، ثم أعلنوا بيانهم التاريخي الذي كان من بين فقراته الفقرتان التاليتان :

« ١ ــ نحن نؤمن بأن كل القوانين الموسوية والحاخامية المتعلقة بالنظام الغذائي والطهارة الكهنوتية ، والملبس ، قد تأصلت في عصور وتحت تأثير أفكار غريبة تماماً عن حالتنا العقلية والروحية الحاضرة . لقد فشلت هذه القوانين في أن تؤثر في حياة اليهودي المعاصر بروح القداسة الكهنوتية . إن امتثالها في وقتنا الحاضر يعوق اكثر مما يساعد على السمو الروحي .

٢ ــ نحن نعترف في الوقت الحاضر بثقافة عالمية للقلب والعقل تسير نحو تحقيق أمل اسرائيل العظيم في تحقيق مملكة الحقيقة والعدل والسلام بين جميع الناس . ونحن نعتبر أنفسنا أننا لم نعد أمة ، بل مجرد جماعة دينية ، وبالتالي فاننا لا ننتظر رجوعاً الى فلسطين ، ولا عبادة قربانية تحت أبناء هارون ولا ترجيع أي من القوانين المتعلقة بالدولة اليهودية » .

وفي أي سياق سياسي اذن ــ ومشكلة علاقة الكتاب المقدس بعمل سياسي كتأسيس دولة اسرائيل هي بالتأكيد مشكلة سياسية ــ يجب استبعاد هذه الجماعة من اليهود من الذين يناصرون قيام دولة يهودية في اسرائيل مستندين في تصورهم الى أوامر الكتاب المقدس . والصهيونيون أو المناصرون للصهيونيين قد دفعوا لاتخاذ موقف مؤيد للصهيونية تحت تأثير اعتبارات نفعية أو مشتقة من تفكير وتعليل نفعيين .

قد يكون حقيقة أن هؤلاء اليهود الاحتجاجيين أقلية بين اليهود . ولكن

لا توجد تقريباً أي طريقة للتحقق من صحة هذا الافتراض . فمن الواضح أن الفرق أو الطوائف الدينية في اليهودية ـ وهي ثلاث طوائف رئيسية : أتباع حركـة الاصلاح الديني أو الاحتجاجيون والمحافظون ، والارثوذكس ـ ليست « البارومتر » أو المقياس الحقيقي لمدى الاخلاص والولاء للتغيرات المتشددة لنصوص العهد القديم . فمثلاً ، انه من المسلم به عموماً أن حركة المحافظة هي صهيونية أو يغلب عليها الاتجاه الصهيوني حيث إن ما تعنيه الصهيونية في حد ذاتها هو موضوع نقاش وحوار في أوساط الحركة . ولكن حتى بالنسبة لهذا الاعتقاد فانه ليس من اليسير التأكد من صحته .

وأياً كان ما تعنيه كلمة « الصهيونية » عند هؤلاء المحافظين ، وبالرغم من التأييد الكبير لاسرائيل والصهيونية بين صفوفهم على المستوى الرسمي والشعبي ، فان معركة حامية ومريرة قد نشبت في المؤتمر نصف السنوي للأجهزة المسؤولة في حركة اليهود المحافظين الذي عقد عام ١٩٥٩ ، وذلك حول مسألة : ما اذا كان واجباً أو غير واجب أن تنضم أو تتحول الحركة بكاملها الى المنظمة الصهيونية العالمية .

فحسبما أوردته جريدة « نيويورك تايمز » (أزمنة يورك الجديدة) ، في عددها الصادر في ١٨ نوفمبر ١٩٥٩ ، فان اتحاد المعابد اليهوديـة الأمريكية نازع في حكمة انضمام طائفة دينية الى ما اعتبره كثير من الوفود تنظيماً سياسياً ، وهو المنظمة الصهيونية العالمية ...

وقد برزت المشكلة في الجلسة التي خصصت لالقاء الكلمات حول

دور المجلس العالمي للمعابد اليهودية ... فالدكتور « ابراهام هيسكل » ، أستاذ الاخلاق اليهودية والتصوف اليهودي في المعهد اليهودي للدراسات اللاهوتية بمدينة نيويورك قال : « انه لن يكون سعيداً أن يرى كنيسة الرومان الكاثوليك تنضم الى الحزب الديمقراطي الامريكي أو ينضم المجلس الوطني للكنائس (الذي يضم كنائس بروتستانتية وكنائس أرثوذكسية شرقية) الى الحزب الجمهوري أو الديمقراطي » .

وهكذا نجد أن مؤتمر هؤلاء اليهود المحافظين قد قرر عدم الانضمام الى المنظمة الصهيونية العالمية . على الاقل في الوقت الحاضر . ولكن هذا القرار أو الموقف لا يعني أن الكثير من الممثلين في هذا المؤتمر إن لم يكن معظمهم ، هم ليسوا بصهيونيين ، أو على الاقل ليسوا ملتزمين بالخط المؤيد لاسرائيل .

بل الذي يعنيه ذلك القرار أو الموقف أنه بالنسبة لعدد كبير من هؤلاء الممثلين للحركة اليهودية المحافظة ، تعتبر « العودة الى جبل صهيون » أمراً لا يمكن أن يعهد به أو يؤتمن عليه جهاز سياسي كالمنظمة الصهيونية العالمية . وأن الجهاز السياسي ليس فقط بعيداً عن أن يكون جزءاً من يهوديتهم ، بل يقاومون أي دمج بين الاثنين . والاستنتاج المنطقي الذي نستخلصه مما تقدم هو أن دولة اسرائيل قد أوجدتها الحركة الصهيونية العالمية ولا زالت تغذيها ، وأن هذه الدولة لم يعتبرها هؤلاء القادة للحركة اليهودية المحافظة جزءاً من عقيدتهم . انها لا يمكن أن تعتبر في نظرهم تحقيقاً لنبوءة العهد القديم .

يبقى بعد هذا فقط للنظر والاعتبار أولئك اليهود الذين يتبعون التقاليد الارثوذكسية في اليهودية . فبالنسبة لهذه الطائفة أو الحركة الدينية الامر يختلف عن الحركة الاصلاحية الاحتجاجية التي ترفض فكرة « العودة الى جبل صهيون » . فهذه الحركة الارثوذكسية التقليدية ، وان كانت لا ترفض فكرة العودة من أساسها كما فعل الاحتجاجيون فان لها عدة تفسيرات للعبارة السابقة المعبرة عن هذه العودة ، وأن تحقيق هذا الحلم أو الأمنية التنبؤية يتم في عملية وخطوات بالغة التعقيد ، ليس من بينها ما تم تحقيقه من انشاء دولة اسرائيل في العصر الحاضر .

بالنسبة لليهود الارثوذكس الحقيقيين تعتبر نبوءة « العودة الى جبل صهيون » جزءاً لا يتجزأ من عملية روحية . انها بالنسبة اليهم تمثل ذروة الخلاص البشري . وهي سوف تتحقق يوم الحساب في الدار الآخرة ، وذلك عندما يكون الجنس البشري أو الانسان قد حقق بدقة الكمال المطلوب مسبقاً للرجوع الطوبائي .

ومن أجل هذا ، فان اليهود الارثوذكسيين ومعظم اليهود المحافظين يدعون ربهم أن يمنحهم العودة الى « صهيون » ويكررون قراءة الآيات المألوفة في « المزامير » « والانبياء » التي تبشر بهذه العودة ..

ومن المهم أن نلاحظ عرضاً في هذا الصدد أن الطوائف المسيحية البروتستانتية (الاحتجاجية) التي تقبل أيضاً نصوص الكتاب المقدس حرفياً تنتظر هذه « العودة ».وبالنسبة لهذه الطوائف المسيحية ، فان تجديد « صهيون » و « عودة بني اسرائيل » ليس شرطاً مناخيـــاً في عملية السمو

والخلاص ، ولكنه على أي حال أمر مطلوب مسبقاً للعروج أو السمو الروحي . وهذا السمو يجب أن يكون العودة الشخصية للسيد المسيح عليه السلام . وتجمع بني اسرائيل يجب أن يسبق – في نظرهم – البعث والنشور يوم القيامة .

والآن قد أصبحت هناك حقيقة لا مراء فيها هي : لا يوجد يهودي أرثوذكسي يؤمن بأن دولة اسرائيل الحاضرة جاءت بطريقة تحقق وصايا العهد القديم . نعم يوجد يهود ارثوذكسيون ينكرون أن دولة اسرائيل هي تدنيس لنصوص الكتاب المقدس .. وهذا الاتجاه المعادي لدولة اسرائيل الحاضرة يتمثل بقوة وبشكل مثير في ذلك الجزء من دولة اسرائيل الذي تشاهد فيه اكثر الاتجاهات اليهودية محافظة وتقليداً . هذا الجزء هو حي « مياشيريم » بمدينة القدس . ففي هذا الحي تسكن طائفة دينية تسمى بـ: « نيتوري كارته Netore Karta »يعتبر أتباعها دولة اسرائيل الحاضرة ظاهرة مدمرة لعقيدتهم ، يقومون بأعمال متكررة من التحدي للسلطة الحكومية في اسرائيل .

ولا يزال هناك أتباع آخرون لهذا الاتجاه المعادي لاسرائيل قد يكونون أقل شهرة ممن سبق ذكرهم ولكنهم لا يقلون عنهم قناعة بذلك الاتجاه المعادي لدولة اسرائيل . ويوجد هؤلاء الاتباع أو الجماعات بين صفوف اليهود الارثوذكسيين في الولايات المتحدة الامريكية . فهذه الجماعات قد أرسلت ممثلين عنها في وفود احتجاج الى هيئة الأمم عدة مرات . ومما يضايق هذه الجماعات ويقلقها من تصرفات دولة اسرائيل هي الادعاءات

المتعلقة بمدينة القدس الجديدة التي طورتها اسرائيل . انهم يفضلون تدويل مدينة القدس وتوحيد المدينتين القديمة والجديدة في القدس .

وهـــذا الاتجاه ليس بالضرورة أن يتساوى مع الموقف المعارض لاسرائيل . على أنه يوجد من بين هذه الجماعات الارثوذكسية الاخيرة من يعارض دولة اسرائيل الحاضرة ، ومن يتفق على أن هذه الدولة لم تأت عن طريق تحقيق كلمة الله ، ولكنها جاءت كنتيجة للنشاط العلماني — السياسي للحركة الصهيونية . فهي لذلك لا يمكن أن تكون تحقيقاً لنبوءة العهد القديم ، ولا تمثل بالنسبة لهؤلاء الناس الاحلام والاماني الموعودة للخلاص . انهم يعتبرون « اسرائيل » الحاضرة دولة علمانية خالية من المعنى الروحي لكلمة « صهيون » .

وهناك بعض آخر يحاول على كره ومضض منه أن يدخل في سلام مع دولة اسرائيل . وكثير آخرون يحملون لدولة اسرائيل امتعاضاً عميقاً بسبب تقليلها من قدر الصورة النبيلة والصافية والسامية روحياً لعقيدتهم الدينية . وحتى تسمية هذه الدولة باسم « اسرائيل » هي مصدر امتعاض لكثير من هؤلاء اليهود . فبالنسبة لهم كلمة « اسرائيل » هي مصطلح ديني روحي محاط بتقليد مقدس ، الأمر الذي لا يجدونه في الدولة العلمانية الموجودة حالياً .

وبقي أخيراً أن يؤخذ في الاعتبار أيضاً أولئك اليهود الارثوذكس — وربما بعض اليهود المحافظين — الذين يعتبرون اسرائيل كتحقيق للحلم المنتظر . وقدر لا بأس به من الحبر قد استخدم في تحبير الكلمات المكتوبة ،

ومقدار ملائم وجميل من الخطب قد استخدم أيضاً لاقناع السامعين من جميع انحاء العالم ومحاولة اثبات أو نفي ومعارضة هذه المقولة وما يرتبط بها من نضال وجهد بواسطة فحص النصوص المناسبة من الكتاب المقدس. وقد يكون من العدل أن يقال ان النتيجة الصافية لكل ذلك الكلام الحشو الزائد سواء أكان مكتوباً أو متفوهاً به، الانتهاء – في أحسن الاحوال – الى برهان ربط بنقطة ميتة . فلو أمكن لإبليس أن يقتبس من الكتاب المقدس ويستدل بنصوصه لأمكن أيضاً للصهاينة ومعارضيهم أن يفعلوا ذلك . انه لرجل شجاع حقاً ، ذلك الرجل الذي يستطيع اليوم أن يتخذ موقفاً غير قابل للنسخ والتغيير – في الاكتشافات الاثرية التي لا تزال في اتساع مستمر وفي ضوء النظريات المتغيرة للتاريخ – تجاه المعنى الموجز لمعظم نصوص الكتاب المقدس . ووجهات النظر المتضاربة حول مخطوطات ووثائق البحر الميت ومدى أهميتها لا تعدو أن تكون مثالاً واحداً من الأمثلة الكثيرة التي يمكن أن تضرب في هذا الصدد . والمحاورات والمجادلات الحادة والمستمرة فيما يبدو بدون نهاية بين فقهاء وعلماء الكتاب المقدس هي مثال آخر في هذه النقطة . وبالنسبة للعقلية الاقل حرفية في فهمها ، فان نصوص الكتاب المقدس قد كانت، في زمن بعيد ، مصدراً لتاريخ عظيم وملهم . ولكنها تقلصت أهميتها بعد ذلك لتصبح التشكيل الحرفي والدقيق والمحدد للوحي المقدس ، غير القابل للتغيير والتبديل في الخصوصيات .

ولهذا فلن تكون هناك أية محاولة في هذا المقال لفحص ومناقشة المعنى

الصريح الواضح للنصوص التي كثيراً ما تقتبس أو تذكر لتأييد أو معارضة الادعاء القائل بأن دولة اسرائيل الحاضرة هي تحقيق لنبوءات العهد القديم. انه يكفينا أن نذكر أمرين اثنين فقط بصدد التعليق على النظرية القائلة بأن دولة اسرائيل الحالية تمثل تحقيقاً لتلك النبوءات :

الامر الاول : أنه لم تكن هناك أي محكمة من المحاكم الوطنية أو الدولية التي تصارعت في الماضي مع التعقيدات السياسية للمشكلة الفلسطينية قد قبلت في يوم من الايام أن تلك النبوءات القديمة تكون أو تؤسس أية حجة شرعية صادقة لادعاءات الصهاينة السياسية في كل الارض المقدسة أو في جزء منها .

الامر الثاني : أنه حتى بالنسبة للصهاينة الذين يدعون أن دولة اسرائيل هي تحقيق لنبوءات الكتاب المقدس ، فانهم لا يدافعون عن الطرق التي استخدمت في انشاء وتأسيس دولة اسرائيل على أنها تنفيذ وتلبية لوصايا الكتاب المقدس . فأحسن ما يستطيع أن يقوله هؤلاء الصهاينة هو أن الحركة الوطنية الصهيونية قد أصبحت الاداة المقدسة . وأقرب ما يكون هؤلاء الناس الى المنطق هو عندما يدافعون عن ملاءمة وضرورة التدخل البشري والكفاءة السياسية للإسراع بالعملية التي يقدّرون ويعترفون بأنها تتطلب الوقت المحدد لها من عند الله . فجهودهم لتسوية نتيجة سياسة القوة الصهيونية بوصايا الكتاب المقدس قد أوجد موقفاً أخرق . فرئيس دولتهم الموعود بها — حسب ظنهم — كان في يوم من الايام ذلك العلماني اللاّدري « داود بن غوريون » ! وجيشهم الذي يفترض فيه أن يكون

الاداة المسخرة لخدمة الرب هو من النساء المجندات إلزامياً ! وفي سياسة الدولة نفسها فان رجال الدين يدخلون في حرب مع الحكومة العلمانية بالضرورة حول التعليم ، وتحديد مفهوم اليهودي ، والمسائل المتعلقة بالشرعية الناشئة عن تضارب الافكار حول الزيجات الصحيحة والطقوس والشعائر الدينية الاخرى .

ان أحسن ما يمكن أن توصف به دولة اسرائيل من حيث شرعيتها وسندها من الكتاب المقدس – هو أنها سلطة سياسية تم انشاؤها وتأسيسها من خلال طرق فاقدة لأية قدسية أو سند من الكتاب المقدس . ومن بين أغلبية سكانها اليهود ، لا تزال هناك أقلية تخوض معركة سياسية شرسة مع الدولة لاجبارها على تبني الاخلاق وأساليب السلوك التي يمكن أن تتلاءم وتتطابق مع نبوءات الكتاب المقدس . هذا التطابق مع نبوءات وتعاليم الكتاب المقدس غير متحقق اليوم ، ولا يبدو أن تحقيقه قريب المنال في المستقبل . ان دولة اسرائيل الحالية ليس لها – سواء من حيث العملية التي تم بها انشاؤها أو من حيث النتائج التي ترتبت على هذا الانشاء – ما يبررها في الاعلانات والتعاليم والوصايا الخلقية والدينية الرفيعة للعظماء الروحيين الذين كلماتهم خالدة على الدوام في الكتاب المقدس .

"اسرائيل الرب" والعهد الجديد

بقلم الدكتور فرانك ستاج*

عندما أنشأت هيئة الامم الدولة المسماة باسرائيل عام ١٩٤٨ ، أو بعبارة أصح ، عندما وافقت على انشائها ، فان السؤال القديم المتعلق بمكان اليهودي في الحكمة الالهية اكتسب أهمية جديدة لكثير من الناس في العالم . فكثير من المسيحيين ، خاصة مسيحيي الولايات المتحدة الامريكية ، رأوا في قيام هذه الدولة السامية خطوة نحو تحقيق الخلاص الإلهي . ان هؤلاء المسيحيين يرون في اسرائيل شعب الله . ولكن هناك أناساً آخرين : مسيحيين وغير مسيحيين رفضوا بقوة هذا التفسير ورأوا فيه اقراراً لا يرضونه لعمل هيئة الامم المتحدة على ما لهذا العمل من آثار بعيدة على كل من اليهود وغير اليهود . فاليهود أنفسهم ليسوا على اتفاق فيما بينهم على أهمية قيام دولة اسرائيل . وكثير منهم قد احتج على فكرة كون

---

* انه استاذ لدراسات العهد الجديد ، في المعهد المعمداني الجنوبي للدراسات اللاهوتية في مدينة أورليان الجديدة بولاية لويزيانا الامريكية ، وكاتب لعدة اعمال حول العهد الجديد .

اليهود جنساً مختاراً لما رآه من امتعاض شديد لدى الآخرين من هذه الفكرة.

ان غرض هذا البحث محدود في مداه ، حيث انه يهتم في المقام الاول ببيان ماذا يعني العهد الجديد من العبارة : « اسرائيل الرب » ؟ ان الاجابة على هذا السؤال يمكن أن يكون لها تضمينات بعيدة المدى بخصوص معنى دولة اسرائيل السياسية ، على الأقل بالنسبة للمسيحيين . فالبحث غير مهتم بقرار هيئة الامم المتحدة المتعلق بانشاء دولة اسرائيل ولا بمستقبل هذه الدولة . وليس من هدف الكاتب أن يدافع عن أو يناصر المصالح الحزبية لأية جماعة . انه يؤمن بأن الشعب الحقيقي لله يشمل أو يجب أن يشمل أناساً من كل الأمم والأجناس، انه كشخص مسيحي يفهم من الانجيل على أنه المحدد لحكمة الله في خلق رابطة أخوية في ذات المسيح عليه السلام تفوق أو تتجاوز كـل التمييزات العائدة الى الوطن أو الجنس والعرق .

١ ــ اسرائيل الرب :

ان « شعب الله » قد تم وصفه في العهد الجديد بما يفيد انه الكنيسة . أو جسد المسيح عليه السلام وذاته ، أو اسرائيل الرب ، أو الرعايا في مملكة الرب ، وبمصطلحات ومعاني متنوعة أخرى تتجاوز كل انواع التمييز والتقسيمات المختلفة الناشئة عن اعتبارات وطنية أو عرقية . فشعب الله ــ كما وصف في العهد الجديد ــ لا يمكن أن يختلط أو يشتبه مع أي دولة سياسية موجودة بالفعل أو سوف توجد في المستقبل . ان العهد الجديد يعترف بأهمية المجتمعات المنظمة وبالتالي فهو يعترف بالدول السياسية،

ولكنه لا يخلط أبداً بين مملكة الله أو الكنيسة وبين وطن أو جنس من الناس . والاشارة الى « شعب الله » على أنه اسرائيل الله هو مجرد استثناء واضح له ، لانه بالنسبة للعهد الجديد ، « اسرائيل الله » تتكون من اليهود ومن غيرهم أينما كانوا وحيثما وجدوا .

فالانجيل أو العهد الجديد هو — أساساً — قصة ما عمله وما يعمله الله لخلاص الانسان . فحيث أن الناس هم أشخاص ، والاشخاص لا يحققون ذواتهم ونموهم الكامل الا بالعلاقـــة مع اشخاص آخرين ، فانه ليس مستغرباً أن نرى في كل من العهد القديم والجديد وضوح حكمة الله في خلق شعب مخلّص من الخطايا . وفي العهد الجديد بالذات ، فان الاهتمام الاساسي قد أعطي لخلق جماعة جديدة عبر عنها بكلمات مختلفة : الكنيسة أو ذات المسيح ، أو اسرائيل الله .

٢ — المسيح عليه السلام والكنيسة :

فالعهد الجديد أو الانجيل مهتّم أساساً بالمسيح عليه السلام وبشعبه ، وقـــد دعا السيد المسيح الناس الى الله ليس لمجرد عقيدة أو طقس من الطقوس الدينية . فقد كون جماعة من الحواريين حوله ، وفي الحال جعل هدفه أن يبني كنيسته ، كرابطة بين الاشخاص تحت حكم الله غير قابلة للانفصام أو الانحلال .

فمن الاناجيل الاربعة يمكننا أن نرى أن السيد المسيح عليه السلام قد وجد أنه من الضروري أن يقاوم الافكار الخاطئة حول عمل ورسالة

المسيح أو المخلص المنتظر . فكثير من الناس نظروا الى المسيح على أنه الشخص الذي سوف يخلص اسرائيل ، وذلك كما ورد في الاصحاح الرابع والعشرين من انجيل القديس لوقا (لوقا ٢٤ : ٢١) . وحتى الحواريين المقربين الى المسيح عليه السلام أحبوا هذه الفكرة أي فكرة « تخليص وعتق إسرائيل » . ولهذا سألوه عقب انبعاثه : « أفي هذا الزمن تعيد الملك الى اسرائيل» (أعمال الرسل ١ : ٦) . انهم بوضوح اعتقدوا أن مملكة الرب سوف تبرز في شكل تحرير اسرائيل من الحكم الروماني وفي اعادتها الى سابق مجدها ومكانتها بين الامم . ولكن السيد المسيح عليه السلام رفض هذه المحاولة التي ترمي الى التوحيد بين الامرين : مملكة الرب واسرائيل الوطنية . لقد رفض عليه السلام أن يكون قائداً « زيلوتياً » يهتم بدولة سياسية . وفي الحقيقة انه لم يطابق ولم يخضع نفسه للمصالح الخاصة لأي حزب أو جماعة من اليهود سواء منهم «الصدوقيون» ، أو «الفريسيون» أو«الاسنيون»أو غيرهم من الأحزاب والطوائف اليهودية في ذلك الوقت .

لقد كافح المسيح عليه السلام في سبيل تحديد شعب الله ، ورفض بوضوح التمييز الخاطيء الذي لجأ اليه « الفريسيون » على أيامه بين التقاة الطائعين وبين العصاة. فقد صنف كل الناس على أنهم عصاة ،ودعا الجميع الى نفس التوبة والعقيدة . (انجيل القديس مرقس ٢ : ١٣ – ١٧) . فالفريسيون عارضوه أساساً بسبب رفضه لتمييزهم بين النظيف الطاهر وبين غير النظيف ، بين التقي والعاصي .

٣ – بولس الرسول :

ان بولس الرسول كان واضحاً في تعرفه وتفهمه لاسرائيل الرب الحقيقية . لقد ميز القديس بولس بين اسرائيل الوطنية وبين اسرائيل الرب الحقيقية ، بين اسرائيل المادية واسرائيل الروحية . ففي رسالة « القديس بولس » الى اهل غلاطية جاء في الاصحاح السادس منها ما نصه : « فما الختان بشيء ولا القلف بشيء ، وانما الشيء أن يكون الأنسان خلقاً جديداً . والسلام والرحمة على الذين يتبعون هذه الطريقة وعلى اسرائيل الله » (رسالة القديس بولس الى أهل غلاطية ٦ : ١٥ – ١٦).

هذا يعني أن شعب الله الحقيقي لا يحدده ختان أو عدمه ، لان مقوماته وخصائصه المميزة اكثر من أي شرط أو صفة أو نشاط بدني . ان هذا الشعب هو خلق خاص لله . وقد ألمح القديس بولس في الآية (١٦) السابقة الى أن هؤلاء الناس الذين خلقوا خلقاً جديداً هم « اسرائيل الرب » . وقد أشار القديس بولس في (رسالته الاولى الى أهل قورنتش ١٠ : ١٨) الى اسرائيل حسب طبيعتها الجسدية المادية ملمحاً الى أن اسرائيل الطبيعية أو الوطنية هي مختلفة عن « اسرائيل الله » الحقيقية . وقد أعلن القديس بولس في (رسالته الى أهل رومية ٩ : ٦ – ٧) أنه « ليس جميع الذين هم من اسرائيل باسرائيل ولا هم أبناء ابراهيم وان كانوا من ذريته ... » .

وسياق كلام بولس في هذا الجزء من هذه الرسالة والمقام الذي قيل فيه لا يترك مجالاً للشك في أن بولس يميز بين أولئك الذين ينتمون الى اسرائيل الطبيعية المادية وبين هؤلاء الذين ينتمون الى السيد المسيح .

وفي فصل أو اصحاح سابق من نفس هذه الرسالة فرق « القديس بولس » بين اليهودي في الظاهر واليهودي في الباطن وذلك عندما قال : « فليس اليهودي من كان يهودياً في الظاهر ، ولا الختان بما يبدو في ظاهر الجسد ، ولكن اليهودي من كان يهودياً في الباطن ، والختان ختان القلب العائدالىالروح ،لا الىحروف الشريعة . ذلك هو الرجل الذي لا ينتظر الثناء من الناس ، بل من الله » (رسالة القديس بولس الى أهل رومية ٢ : ٢٨— ٢٩) .

وقد كان هـذا التمييز واضحاً في « رسالة القديس بولس الى أهل غلاطية » ، وذلك عندما قال فيها :

« لأنكم جميعاً أبناء الله (أي عبيد الله ومخلوقيه) بالايمان بالمسيح ... ، فانكم ، وقد اعتمدتم جميعاً في المسيح قد لبستم المسيح : فلم يبق من بعد يهودي أو يوناني ، عبد أو حر ، ذكر وأنثى لانكم جميعاً واحد في المسيح ... فاذا كنتم للمسيح فأنتم اذاً نسل ابراهيم وانتم الورثة على ما قضى الوعد » (رسالة القديس بولس الى أهل غلاطية ٣ : ٢٦ — ٢٩) .

ومن أقوى الصور والاوصاف التي أعطاها العهد الجديد لشعب الله توجد في (رسالة القديس بولس إلى أهل « أفسس » ٢ : (١ — ١٨) .

فقد اهتمت هذه الرسالة ببيان حكمة الله الخالدة في خلق إنشاء اخوة أو رابطة جديدة بين الاشخاص في اطار الكنيسة أو ذات المسيح عليه السلام . ان هذه العلاقة أو الرابطة الجديدة تتجاوز أو تسمو على التمييزات والفروق السطحية القائمة على أساس الوطن أو العرق . انها تكون وتبني – على حد تعبير القديس بولس – « انساناً جديداً ليس باليهودي ولا بالوثني .. » (أفسس ٢ : ١٥) .

فهذه هي اسرائيل الله الحقيقية في نظر القديس بولس . انها تتكون من ناس مختنين وغير مختنين ، من يهود وغير يهود .

لقد اهتم القديس بولس في هذه الرسالة بتوضيح كيف أن الله قد حطم الحاجز الذي يفصل بين المختنين « وغير المختنين » ، بين اليهود وغير اليهود . وقد كان من بين الاهداف التي سعى اليها السيد المسيح أن يبني من الجماعتين بالرسالة التي جاء بها « انساناً جديداً » ، وأن يحقق بالتالي الامن والسلام . ومن هذا يتبين أن كنيسة الله هذه أو شخصية وذات السيد المسيح هي اسرائيل الجديدة – في مفهوم العهد الجديد – أو اسرائيل الله الحقيقية التي تتجاوز كل التمييزات القديمة القائمة على أساس من الوطن أو العرق . فاسرائيل الحقيقية تتكون من جميع جماهير واتباع السيد المسيح عليه السلام .

٤ ـ المسيحيون الأولون :

ان كتاب اعمال الرسل (١) يتتبع كثيراً من جوانب نمو وتطور المجتمع المسيحي في العقود الاولى من وجوده . وقد أوضح هذا الكتاب بجلاء أن الكفاح المرير لم يكن على شخصية السيد المسيح ، ولكنه كان على الجمع بين اليهود وغير اليهود وممن هم من أصل وثني في رابطة اخوية واحدة هي رابطة الكنيسة . لم تكن الدعوة في تلك المرحلـــة المتقدمة أو الاولى من تاريخ المسيحية الى ان يسوع هو المسيح المنقذ ... ، وهي الدعوة التي أخرجت في النهاية الجماعة المسيحية من المعابد اليهودية ، بقدر ما كانت مؤدية الى ادماج أو ادخال غير المختتنين الذين هم من أصل وثني الى الكنيسة . أو بعبارة اخرى ، ان الكفاح أو النزاع كان بين مفهومين هما : اسرائيل المتعلقة بالجسد والمادة واسرائيل الله الحقيقية .

فالمسيحيون الاولون كانوا يهوداً كما كان المسيح عليه السلام نفسه يهودياً . وقد كان العهد القديم أو التوراة الكتاب المقدس للسيد المسيح وللمسيحيين الاولين . وقد صلى المسيح عليه السلام والمسيحيون الاولون في المعابد اليهودية وفي معبد أو هيكل القدس بالذات . ولبعض العقود من الزمن ، فإن آلافاً من اليهود كانوا أتباعاً للسيد المسيح....وفي آخر زيارة مسجلة قام بها « القديس بولس لمدينة القدس أخبر بأنه يوجد

---

(١) ان المؤلف لكتاب « اعمال الرسل » ــ على أرجح الاقوال ــ هو القديس لوقا « مؤلف أحد الأناجيل الاربعة » (المترجم)

عدد لا يحصى (عشرات الآلاف) من اليهود المؤمنين ، ولكنهم متعلقون بالشريعة وحفيظون عليها (أعمال الرسل ٢١ : ٢٠) . ولكن مع نهاية القرن الاول من التاريخ المسيحي كان المجتمع المسيحي كله تقريباً من غير اليهود ، على ما يبدو . وعندما كتب انجيل القديس يوحنا . فان المؤلف – وقد كان هو نفسه مسيحياً يهودياً على أقوى الاحتمالات – اشار الى اليهود وكأنهم جماعة متميزة بوضوح عن المسيحيين . وفيما يبدو أن الجماعة المسيحية قد تغيرت في منتصف القرن الاول لتاريخها من جماعة يهودية الى جماعة يغلب عليها العنصر الذي من اصل وثني . واذا كان لاحد أن يتساءل : لماذا حدث هذا التحول والانقسام ؟ وما هي المشكلة أو المعضلة التي حدث بسببها الانقسام ؟ ان كتاب أعمال الرسل يبين أن التغير الذي حدث كان يمثل ويعكس عدم رغبة اليهود في الاستمرار في رابطة تشمل بمقتضاها « اسرائيل الله » اليهود وغير اليهود (أي الوثنيين) .[١]

ان كتاب أعمال الرسل « يرينا كيف أن الله أراد أن ينقذ ويخلص كل الذين سوف يؤمنون بالمسيح عليه السلام ، وان يخلق للناس رابطة جديدة في ذات المسيح عليه السلام ، وهي الرابطة التي بدأت تفهم بالتدريج من قبل بعض الحواريين والمبشرين بدعوة المسيح عليه السلام. والقديسان « فيلبس » و« اسطفانس » كان لهما قدم السبق والريادة في الدعوة الى انجيل لا تعوقه الحدود الوطنية والعرقية. وقد قاوم «شاول» – وهو رجل من طرسوس – هذا الاتجاه مقاومة شديدة في بداية الامر ،

ولكنه لم يلبث – بعــد محادثة له مع «حننيا» – أن أصبح من المبشرين المتحمسين بالانجيل المتوجه الى جميع الناس وبالرابطة الجديدة التي تشمل كل المؤمنين من كل وطن وجنس .

وباختصار ، ان أعمال الرسل تبين أن الانتصار في النهاية كان لإنجيل لا يعوقه أي عائق من العوائق الوطنية والعرقية . كما أن كتاب « أعمال الرسل » يتتبع أيضاً مأساة الاستبعاد الذاتي للمجتمع اليهودي من المجتمع المسيحي ، مع أن الأخير كان نابعاً من الاول . آلاف من اليهود كان في مقدورهم أن يتبعوا السيد المسيح كمنقذ وسيد لهم . ولكن العقبة التي صادفتهم في ذلك وحالت بينهم وبين هذا الاتباع هو فشلهم في التخلي عن ادعاءاتهم الوطنية ونسيان أنفسهم في سبيل تحقيق اخوة أو رابطة تتجاوز هذه الخطوط والحدود . وقد زادت هذه المأساة بسبب الحقيقة التي نعرفها ، وهي أن تلك الرابطة الجديدة بين الاشخاص التي نادى بها السيد المسيح عليه السلام كان أول من ناصرها ودافع عنها هم أبناء العهد القديم . وعلينا أن نتذكر دائماً أن كبار المناصرين والمدافعين عن فكرة الاخوة العالمية التي تتجاوز الحدود والخصوصيات الضيقة التي ترجع للوطنية أو العرق كانوا في العهد الجديد من اليهود ، وذلك من أمثال السيد المسيح نفسه « وفيلبس » ، « واسطفانس » ، و« بولس » وغيرهم ! والاصوات العظيمة لاسرائيل نفسها تصرخ ضد أي خلط بــين فكرة شعب الله وبين أي وطن أو عرق .

٥ ــ الخاتمة :

ان هذا الجيل قد رأى انشاء دولة اسرائيل الحديثة . وليس من هدف هذا البحث في أي شكل من الاشكال أن يناقش مدى صحة أو أحقية أو أهمية هذا التطور السياسي الذي حدث . فدولة اسرائيل اليوم هي وطن أو دولة من الدول . ومن واجبها كدولة سياسية أن تتابع قدرها كأي دولة سياسية أخرى . ومن الواجب أن يحكم عليها كما يحكم على أي دولة سياسية أخرى وانه لمن الخطأ الفاحش أن نسوي أو نماثل بين اسرائيل الحديثة وبين « اسرائيل الله » ، لان هذه المماثلة تبعدنا عن تعاليم العهد الجديد (الانجيل) في نقطة من أهم وأخصب نقاطه .

معنى اسرائيل بالنسبة لشخص مسيحي

بقلم الدكتور اونيل ر. سيلرز*

ان التراتيم والمزامير المستعملة في صلوات الكنيسة المسيحية غالباً ما تبدي اهتماماً باسرائيل . ولكن قلة من المسيحيين هم الذين يعتبرون أنفسهم فيزيقياً من نسل يعقوب عليه السلام الذي هو نفسه يحمل اسم « اسرائيل » ويعتبر جداً أعلى للشعب الذي اختاره الله . ان المسيحيين يعترفون على الدوام بما قدمه الشعب الاسرائيلي القديم . فمن خلال هذا الشعب أعلن الله تعالى أنه الواحد الاحد وانه الاله الذي لا اله غيره والشعب الاسرائيلي القديم هو الذي قدم للعالم التوراة الذي تسميه الكنيسة المسيحية بالعهد القديم . وأنبياء وأبطال العهد القديم من أمثال سيدنا ابراهيم ، وسيدنا يعقوب ، وسيدنا داود وغيرهم من الانبياء عليهم جميعاً الصلاة والسلام والتسليم — يذكرون في الكتب المسيحية بكل ثناء وتمجيد (تنظر

---

* إنه كاهن في الكنيسة المسيحية المتحدة ، وقد كان استاذ الدراسات القديمة في الفترة ما بين ١٩٢٢ — ١٩٥٤ وعميداً لمعهد ميكورمين للدراسات اللاهوتية من سنة ١٩٤٠ حتى سنة ١٩٥٤ .

مثلاً ــ الرسالة الى العبرانيين ١١ : ١ ــ ٤٠) .

ان السيد المسيح نفسه والاثني عشر حوارياً وكــل أعضاء الكنيسة المسيحية الاولى في مدينة القدس كانوا ينتمون الى الشعب الاسرائيلي ويدينون بالعقيدة اليهودية . وقد بين السيد المسيح في مناسبات متنوعة أنه بينما كانت رسالته الاولى الى « الخراف الضالة من آل اسرائيل » . (انجيل متى ١٠ : ٦) ، فان الانجيل اتجه الى كل العالم . لقد أبرأ السيد المسيح عليه السلام ابنة المرأة الكنعانية التي ائتمنته وتوسلت اليه أن يشفي لها ابنتها المجنونة دون أي اعتبار لوطنها أو عرقها (انجيل متى ١٥ : ٢١ ــ ٢٨ ، انجيل مرقس ٧ : ٢٤ ــ ٣٠) . وفي بيان الجار أو القريب الصالح ضرب السيد المسيح المثل بسامري بدلاً من يهودي (انجيل لوقا ١٠ : ٢٥ ــ ٣٧).

ويظهر عدم التمييز واضحاً في الحوار الذي اجراه السيد المسيح مع المرأة السامرية عند «بئر يعقوب» كما حكته آيات (انجيل يوحنا ٤ : ٧ ــ ٢٦)

وعندما دخل السيد المسيح « كفرناحوم » توسل اليه قائد المائة الروماني أن يشفي اليه عبده المقعد ، فأعجب السيد المسيح بكلامه وقوة إيمانه وقال للذين يتبعونه: «الحق أقول لكم : لم أجد مثل هذا الايمان في أحد مــن اسرائيل » (انجيل متى ٨ : ٥ ــ ١٣). وفي نبوءة السيد المسيح بنهاية العالم كان الاتجاه العالمي واضحاً في كلامه ، وخاصة في قوله :

« ويجب أن تعلن البشارة من قبل الى جميع الامم » (انجيل مرقص ١٣ : ١٠) . وقد جاء التعبير عن معنى هذه الآية في انجيل القديس متى

بما نصه : « وبشارة الملكوت هذه ستعلن في المعمور كله ، شهادة لدى الأمم أجمعين » (متى ٢٤ : ١٤) . وقد تذكر الحواريون والمبشرون بالدين المسيحي بعد السيد المسيح كل هذه الاشياء المعبرة عن عموم الرسالة وعالميتها .

ان الانفصال الذي حدث بين الحواريين وكبار المبشرين الاولين بالدين المسيحي وبين اليهودية الرسمية كان بسبب إيمان أولئك الحواريين والمبشرين بأن السيد المسيح هو المخلص أو المنقذ المنتظر أو الموعود به وأن مملكته هي مملكة روحية اكثر منها مملكة هذا العالم المادية الزمنية . وما كانوا يفكرون في بداية الامر أن يرفضوا الاعتراف بصلاة الهيكل أو أن يقطعوا صلتهم بالشريعة اليهودية . انهم كانوا مجرد فرقة يهودية مخالفة في الرأي .

ثم أخذت تتسع الفروق عندما عمد القديس بطرس بعض الوثنيين الذين اعتنقوا الدين الجديد وأخذهم الى الكنيسة (أعمال الرسل ١٠ : ٤٤ — ٤٨) . وفي وقت متأخر أخذ القديس بولس على نفسه مسؤولية الدعوة الى الانجيل بين الوطنيين (أعمال الرسل ٩ : ١٥ ، ٢٢ : ٢١) . «والقديس لوقا» مؤلف أحد الأناجيل وهو الانجيل الذي يحمل اسمه ومؤلف كتاب « أعمال الرسل » أيضاً كان من أصل وثني . ولم تأت نهاية القرن الاول بعد الميلاد حتى كان للكنيسة المسيحية شخصيتها المتميزة وكانت الغالبية في المنتمين اليها من أصل وثني .

ومنذ البداية حافظت الكنيسة المسيحية على العهد القديم ككتاب مقدس

لها . وقد كان هذا الحفاظ بسبب ما آمن به المسيحيون من أن دينهم ليس كله شيئاً جديداً ، ولكنه متصل بالدين السماوي السابق له ومتمم له . والوصايا العشر كانت مطبقة في المجتمع المسيحي والنبوءات المبشرة بالمخلص المنتظر قد تحققت في السيد المسيح عليه السلام . والمبشرون المسيحيون الاولون – خاصة القديس بولس – قد بشروا بانه في امكان الوثني اذا ما قبل السيد المسيح وآمن به أن يصبح وريثاً للبشائر والوعود التي أعطيت لاسرائيل . « فما الختان بشيء ، وانما الشيء أن يكون الانسان خلقاً جديداً ، والسلام والرحمة على الذين يتبعون هذه الطريقة وعلى اسرائيل الله » (رسالة بولس الى أهل غلاطية ٦ : ١٥ – ١٦) . واسرائيل الله هذه تتكون من جميع المؤمنين في نظر القديس بولس ، حسب نص كلامه السابق .

فالحواريون الاولون اعتقدوا بل آمنوا أن « العهد الجديد » الذي أعلنه «أرميا» (سفر أرميا ٣١ : ٣١ – ٣٤) وكرره بعد ذلك مؤلف (الرسالة الى العبرانيين ٨ : ٨ – ١٢) ، قد تأكد وتأسس بواسطة السيد المسيح...

وكان القديس بولس « يفتخر بأصله اليهودي وكان يسمي نفسه بالاسرائيلي ويعتبر بأنه من ذرية إبراهيم ومن نسل قبيلة بنيامين » . فهو يقول في رسالته الى أهل رومية : « فاني أنا اسرائيلي من ذرية إبراهيم وسبط بنيامين » (رسالة بولس الى أهل رومية ١١ : ١) ولكن مع هذا فقد آمن « بولس » بأن رفض اليهود للسيد المسيح قد فصلهم بصورة مؤقتة عن عطف الله وتأييده . فهو يقول : « ان العمى الذي أصاب قسماً

من اسرائيل سيبقى الى أن يدخل الوثنيون جملة ، وهكذا ينال الخلاص اسرائيل بأجمعه على ما ورد في الكتاب » (رسالة القديس بولس الى اهل رومية ١١ : ٢٥ – ٢٦) . وتحت الميثاق الجديد لن يكون هناك أي تمييز بين جنس وآخر « فلا فرق بين اليهودي واليوناني ، فالرب ربهم جميعاً يوسع على كل من يدعوه » (رسالة القديس الى أهل رومية ١٠ : ١٢) . وأولئك الذين قبلوا رسالة المسيح عليه السلام سوف ينتفعون من العهود والبشائر القديمة « فاذا كنتم للمسيح فأنتم اذاً نسل إبراهيم وانتم الورثة على ما قضى الوعد » (رسالة القديس بولس الى أهل غلاطية ٣ : ٢٩) .

وأمل مماثل لما أبداه القديس بولس قد سجل في الفصل أو الاصحاح السابع من رؤيا القديس يوحنا ، حيث نجد في هذه الرؤيا مائة واربعة وأربعين ألفاً (١٤٤,٠٠٠) بواقع اثني عشر ألفاً (١٢,٠٠٠) من كل قبيلة أو سبط من اسباط اسرائيل الاثني عشرة، قد ختموا كعبيد، وقد بدا للقديس يوحنا في رؤياه « جمع كثير لا يحصى من كل أمة وقبيلة وشعب ولسان، وكانوا قائمين تلقاء العرض وتلقاء الحمل، يلبسون حللاً بيضاء، بأيديهم سعف ، وهم يصيحون بصوت جهير : « النصر لإلهنا المستوي على العرش والحمل » (رؤيا القديس يوحنا ٧ : ١ – ١٧). وهكذا نجد أن « القديس يوحنا » قد صور في رؤياه أن (١٤٤٠٠٠) – وهو عدد صغير نسبياً – من قبائل اسرائيل – سوف يكون قائماً تلقاء العرش من بين عدد كبير لا يمكن حصره من الناس في العـــالم الذين سوف يقفون أو يقومون أمام العرش .

ان قدراً كبيراً من الكتابات قد تمت كتابته من قبل علماء اللاهوت وعلماءالكتاب المقدس حول اسرائيل في العهد الجديد. ولكن ما يرجوه الباحث من وراء هذه المعالجة الموجزة للموضوع انها سوف توضح للقارىء كيف أن شخصاً مسيحياً يعتمد أساساً على النصوص المسيحية يمكن أن يفكر في اسرائيل ليس كوحدة جغرافية أو عرقية أو سياسية ولكن كتجسد لجميع المؤمنين . « اسرائيل الله » .

وعود الله وبشائره

للأسقف جوناثان ج. شيرمان

ان الكتاب المقدس الذي يتضمن العهد القديم والعهد الجديد هو وحده من الكتابات المتقابلة التي تبين وعود الله وبشائره وتحقيقها في التاريخ . وكلمة عهد (Testament) هي ترجمة لاتينية للكلمة اليونانية (Testamentum diatheke) التي هي ترجمة أيضاً للكلمة العبرية (Berith) التي تعني العهد . وقد انتهى الامر أخيراً بهذه الكلمة أو المصطلح الديني ليصبح معناه شاملاً للكتابات المقدسة ومشيراً في الوقت نفسه الى الموضوع الرئيسي لهذه الكتابات . وهذه الفذلكة اللغوية بداية مناسبة لدراسة وعود الله وبشائره في الكتاب المقدس .

١ ــ عهد الله مع اسرائيل :

انا نجد في العهد القديم سلسلة من الوعود ، تبدأ بوعد هو لكل المنحدرين من سيدنا نوح عليه السلام (سفر التكوين ٦ : ١٨ و٩ : ٨ ــ ١٧) ، ثم تتوالى وعود الله لأنبيائه من أمثال ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب وموسى عليهم جميعاً صلوات الله وسلامه ، حتى تختم بالعهد

الذي كان مع اسرائيل في جبل سيناء (ينظر من العهد القديم : سفر التكوين ١٥ : ٨و١٨ و٢٦ : ٢ ـ ٥و٢٨ : ١٢ ـ ١٥ ، وسفر الخروج ٢ : ٢٤ و٦ : ٤و١٩ : ٥و٢٤ : ٢٨ و٣٤ : ٢٧) .

والوعد أو العهد الذي أعطاه الله الى سيدنا نوح عليه السلام يمتاز بأنه يشمل كل الجنس البشري كذرية لسيدنا نوح . وفي العهود التالية يعامل الله اسرائيل بصورة خاصة كشعب مختار على جميع الشعوب فقد ورد في (سفر الخروج ١٩ : ٥) ما نصه : « فالآن إن سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي تكونون لي خاصة من بين جميع الشعوب » . وقد تكرر هذا المعنى في (سفر التثنية أيضاً ٧ : ٦ و١٤ : ٢) ، حيث جاء في الاصحاح السابع منه مثلاً : « لأنك أنت شعب مقدس للرب الهك . اياك قد اختار الرب الهك لتكون لـه شعباً أخص من جميع الشعوب التي على وجه الأرض » .

وجوهر فكرة العهد أنه عقد بين طرفين ، يتضمن التزامات محددة على كل طرف .

ومفاهيم العهود المختلفة التي كانت بين الله تعالى وبين اسرائيل في أسفار موسى الخمسة تبقى ثابتة مستقرة ، من حيث أن المبادأة فيها على الدوام كانت من جانب الله تعالى . وتشكل الوعود التي أعطيت لأنبياء بني اسرائيل ونسلهم ما يلي :

(أ) ـ أرض كنعان :

فقد خاطب الله سيدنا ابراهيم قائلاً له : « وأقيم عهدي بيني وبينك

وبين نسلك من بعدك في أجيالهم عهداً أبدياً لأكون إلَهاً لك ولنسلك من بعدك ، وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان ملكاً أبدياً ، وأكون الههم» (سفر التكوين ١٧ : ٧ – ٨) . ينظر أيضاً : (سفر التكوين ١٢ : ٧ ، ١٣ : ١٥ ، ١٥ : ١٨ – ٢٠ ، ٢٤ : ٧ ، ٢٦ : ٣ ، ٢٨ : ٤ ، ١٣ ، ٣٥ : ١٢ ، ٤٨ : ٤ . وسفر الخروج ٦ : ٤)

(ب)–الانتصار العسكري على أعدائهم السكان السابقين للأرض :

ومما ورد بخصوص هذا الجانب الذي تضمنته العهود ما جاء في سفر الخروج : « فقال ها أنا قاطع عهداً . قدام جميع شعبك أفعل عجائب لم تخلق في كل الأرض وفي جميع الأمم فيرى جميع الشعب الذي أنت وسطه فعل الرب إن الذي أنا فاعله معك رهيب .

احفظ ما أنا موصيك اليوم ، ها أنا طارد من قدامك الاموريين ، والكنعانيين ، والحثيين والفرزيين والحوّيين واليبوسيين » (سفر الخروج ٣٤ : ١٠) . ينظر أيضاً (سفر التكوين ١٥ : ١٩ ، وسفر التثنية ٧ : ١ ، ١٩ ، ٨ : ٢٠ ، ٩ : ١ – ٣) .

(جـ) – الرخاء الاقتصادي :

ومما تضمنه العهد القديم من نصوص الوعد بالازدهار الاقتصادي ما احتواه الاصحاح السابع من سفر التثنية ، حيث جاء فيه : « ومن أجل انكم تسمعون هذه الاحكام وتحفظونها وتعلمونها يحفظ لك الرب إلَهك

العهد والرحمة اللذين أقسم بهما لآبائك . ويحبك ويباركـك ويكثرك ويبارك ثمرة بطنك وثمرة أرضك قمحك وخمرك وزيتك ونتاج بقرك واناث غنمك على الارض التي اقسم لآبائك أنه يعطيك اياها . مباركاً تكون فوق جميع الشعوب ، لا يكون عقيم ولا عاقر فيك ولا في بهائمك» (سفر التثنية ٧ : ١٢ — ١٤) . ينظر أيضاً : (سفر التثنية ٦ : ٣ ، ٨: ٧ — ١٠ ، ١٨) .

والذي له الأولوية في هذه الوعود الملموسة هي العلاقة بين الله وبين الانبياء وذرياتهم . « والرحمة » التي ذكرت أعلاه في (سفر التثنية ٧ : ١٢) ، ووعد الله لموسى بأن يكون مع شعبه (سفر التكوين ٣٦ : ٣ ، ٢٨ : ١٥ ، وسفر الخروج ٦ : ٧ ، وسفر يشوع بن نون ١ : ٩) وبأن يباركهم ويكثرهم (سفر التكوين ١٣ : ١٦ ، ١٧ : ٤ — ٧ ، ٢٦ : ٤ ، ٢٨ : ١٤ ، ٤٨ : ٤) .

والتزام بني اسرائيل تحت العهد الذي أعطي لهم هو طاعة وصايا الله ، وذلك كما عبرت عنه كثير من نصوص العهد القديم . فمن ذلك ما ورد في أسفار الخروج ، والتكوين والتثنية : « فالآن ان سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي تكونون لي خاصة من بين جميع الشعوب فان لي كل الارض » « (سفر الخروج ١٩ : ٥) ينظر أيضاً : (سفر التكوين ٢٦ : ٥ ، وسفر التثنية ٤ : ٢١ ، ١٣ ، ٥ : ٢ — ٢٢ ، ٦ : ١ — ٣ ، ٢٤ ، ٧ : ٩ — ١٦ ، ٨).

واذا كان العهد القديم بيّن لبني اسرائيل الآثار الايجابية التي سوف تترتب على الوفاء بالتزام الطاعة لوصايا ربهم في مثل الآيات السابقة فانه

بين أيضاً الآثار السلبية المترتبة على عدم الالتزام بتلك الطاعة . فقد جاء في (سفر التثنية ٨: ١٩ — ٢٠) ما نصه : « وإن نسيتم الرب الهكم وذهبتم وراء آلهة أخرى وعبدتموها وسجدتم لها أشهد عليكم اليوم أنكم سوف تبادون وتهلكون لا محالة ، كالشعوب الذين يبيدهم الرب من أمامكم، كذلك تبادون لأجل أنكم لم تسمعوا لقول الرب إلهكم ».

فمفاهيم العهد — كما أعطيت في هذه النصوص والآيات التي أشرنا اليها — الخلفية والمفتاح اللازمين لفهم الاسفار التاريخية والتنبؤية المتأخرة للعهد القديم. فأسفار : يشوع ، والقضاة ، وصمويل الأول ، وصمويل الثاني تخبر جميعاً: عن الغزو الناجح لأرض كنعان ، وعن احتلال وهزم أعداء اسرائيل ، وعن تأسيس مملكة « شاول » وداود . والاصحاحات الأولى من سفر الملوك الاول تخبر عن الازدهار وعن مجد وعظمة حكم سليمان . وهذا الجزء من التراث الديني والتقاليد الدينية يحمل سرداً مطولاً لتحقيق الله لوعوده وبشائره لاسرائيل ولكن بالنسبة لاسرائيل فان الامر يختلف ، حيث أنهم لم يفوا بالتزاماتهم نحو ربهم .

فالشعب الاسرائيلي أصبح فاسداً منحرفاً عن طريق الحق بما يحيط به من تأليه للأبعال ، وأصبح الناس غارقين في حالة عقلية خيالية يرون أنفسهم معها شعب الله المختار المحامي والمفضل على غيره والمستحق من الله كل التبريكات المادية الموعود بها في اطار العهد المعطى له ، غير عابئين بالاستجابة المفروضة عليهم لمتطلبات والتزامات هذا العهد الخلقية . فالانبياء قد رباهم الله على قول الحق واصدار الحكم على أمة فشلت في

اطاعة وصاياه وفي المحافظة على عهده . فقد كان ايليا أول من احتج على ذلك الانحراف . يقول العهد القديم :

« وكان كلام الرب اليه يقول له ما لك ها هنا يا إيليا . فقال قد غرت للرب اله الجنود لان بني اسرائيل قد تركوا عهدك ونقضوا مذابحك وقتلوا انبياءك بالسيف فبقيت أنا وحدي وهم يطلبون نفسي ليأخذوها » (سفر الملوك الاول ١٩ : ١٠) .

وقد عمل بنفس الشيء « عاموس » — وهو يتكلم من أجل الله — فقد ذكّر الشعب الاسرائيلي بما نصه : « وأنا قد أبدت من أمامهم الاموريّ الذي قامته مثل قامة الارز وهو قوي كالبلوط . أبدت ثمره من فوق وأصوله من تحت . وأنا أصعدتكم من أرض مصر ، وسرت بكم في البرية أربعين سنة لترثوا أرض الأموري . وأقمت من بينكم أنبياء ومن فتيانكم نذيرين . أليس كذلك يا بني اسرائيل يقول الرب » (سفر عاموس ٢ : ٩ — ١١) .

ان فضل الله على بني اسرائيل واضح للعيان ، ولذا فان « عاموس » يتابع الحكم على بني اسرائيل :

« اسمعوا هذا القول الذي تكلم به الرب عليكم يا بني اسرائيل على كل القبيلة التي أصعدتها من أرض مصر قائلاً : «اياكم فقط عرفت من عرفت من جميع قبائل الارض لذلك اعاقبكم على جميع ذنوبكم » (سفر عاموس ٣ : ١ — ٢) . ينظر أيضاً : (سفر هوشع ١١ : ١ — ٢٤، ٨ : ١ ، وسفر أرميا ١١ : ٩ — ١٣ ، ٢٢ : ٨) .

إن أنبياء بني اسرائيل قد تميزوا بملاحظة حكم الله على شعبهم والتنبيه الى أن الله كان على وشك أن يحطم هذا الشعب أو الأمة الاسرائيلية بسبب ذنوبها واخطائها في حق ربها . إن اسرائيل خسرت بسبب هذه الذنوب والأخطاء مجرد حق الإدعاء في وعود الله .

وهذا الانذار بالتدمير الذي أعلنه أنبياء بني اسرائيل لشعبهم يعطينا بوضوح الأساس لتفسير جديد لحكمة الله في دعوة بني اسرائيل . ان تاريخ بني اسرائيل يوضح بجلاء غير مهتم أساساً بفتوحات اسرائيل وانتصاراتها العسكرية ولا بأمنها الجغرافي ولا بازدهارها الاقتصادي . وقد تحققت نبوءات الانبياء عندما دمرت اسرائيل كدولة وكأمة في عام ٧٢٢ ق. م، وعندما أخرج « يهوذا » الى المنفى في عام ٥٨٦ ق. م. ولكن ماذا بعد ذلك ؟ ان ما يهتم به الله تعالى — كما يقول الأنبياء — هو علاقة مع اسرائيل تقوم على الحق والعدل والرحمة ... لقد تنبأ أنبياء بني اسرائيل بتحقيق هذه الغاية من خلال وعن طريق البقية الباقية من الامة الاسرائيلية التي تستجيب لربها بالتوبة وتبقى وفيّة ومخلصة له . فقد نادى « عاموس » قومه بقوله :

« اسمعوا هذا القول الذي أنا أنادي به عليكم مرثاة يا بيت اسرائيل سقطت عذراء اسرائيل لا تعود تقوم ... لانه هكذا قال السيد الرب ، المدينة الخارجة بألف يبقى لها مائة والخارجة بمائة يبقى لها عشرة من بيت اسرائيل . لانه هكذا قال الرب لبيت اسرائيل اطلبوني فتحيوا ... ابغضوا الشر واحبوا الخير وثبتوا الحق في الباب لعل الرب اله الجنود يكون رحيماً

ببقية يوسف » (سفر عاموس ٥: ٤، ٦، ١٥). ينظر أيضاً: (سفر اشعياء ٦: ١٣، ١٠: ٢٢ — ٣٤).

والتلخيصّ التقليدي لهذا البحر من تعاليم الأنبياء ونبوءاتهم يمكن أن نجده في كلام « ميخا » عندما قال: « قد أخبرك أيها الإنسان بما هو صالح. متواضعاً مع الملك ». (سفر ميخا ٦: ٨).

وهكذا يمكن القول بالنسبة للنبوءة اليهودية ككل. فبينما نجدها في بداية أمرها تتجه الى المواقف العاجلة المباشرة والمحسوسة الملموسة، وهي بهذه الصورة تحمل لهجة أو نبرة قوية تهدف الى هدم الأفكار الخاطئة فاننا نجد أن هدفها النهائي ايجابي وبناء في نقـــل وتحويل مفهوم الميثاق الى مفتاح أعلى. والأنبياء هم أناس ملهمون من الله لادراك وفهم وإعلان معاني الأحداث الموجهة من الله. والتغير الذي أحدث في الميثاق يمكن تصويره بيانياً كما يلي:

نمو الميثاق وتطوره	هدف الميثاق	عوائق تحقيق الميثاق	شرط الميثاق
الميثاق الاصلي	الارض تفيض باللبن والعسل	الاعداد	الطاعة
تأكيدات الانبياء	التقوى والعدل	الذنوب والخطايا	الطاعة

ولذا فانه في الفترة الاولى كان مفهوم « الخلاص أو الانقاذ » يشير الى الانتصار العسكري الذي صنعته أو حققته يد الله القوية والمبسوطة «بيد شديدة وذراع ممدودة لأن الى الابد رحمته » (المزامير ١٣٦: ١٢).

وفي تعاليم الأنبياء تعني كلمة « الخلاص » تبريكات ونفحات الدين الحقيقي . والشكل البياني السابق – كغيره من الاشكال التوضيحية – هو تبسيط مبالغ فيه ومن ثم فانه من شأنه أن يجر الى خطر سوء التفسير . وسيكون من الخطأ أن يتصور انسان أن تطور دين اسرائيل كان موحداً أو مطرداً في خط مستقيم واحد . إن الأفكار وأنماط السلوك القديمة تموت بصعوبة . والفكر العبري لا يهتم بالنظام المنطقي . فانظر – مثلاً – الى أرميا ، اذ يقول في الاصحاح السابع من سفره : « لأنكم إن أصلحتم إصلاحاً طرقكم وأعمالكم أجريتم عدلاً بين الانسان وصاحبه ، إن لم تظلموا الغريب واليتيم والأرملة ، ولم تسفكوا دماً زكياً في هذا الموضع ، ولم تسيروا وراء آلهة أخرى لأذاتكم فإني أسكنكم في هذا الموضع في الأرض التي أعطيت لآبائكم من الازل والى الأبد » (سفر ارميا ٧ : ٥ – ٧) .

وفي نفس الاصحاح بعد آيات قليلة من الآيات السابقة فيه نجد « ارميا» يقول : « والآن من أجل عملكم هذه الاعمال يقول الرب وقد كلمتكم مبكراً في كلامي فلم تسمعوا ، ودعوتكم فلم تجيبوا . أصنع بالبيت الذي دُعي باسمي عليه الذي انتم متكلون عليه وبالموضع الذي اعطيتكم وآباءكم اياه كما عملت « بشيلو » وأطرحكم من أمامي كما طرحت كل أخوتكم كل نسل افرايم » (سفر أرميا ٧ : ١٣ – ١٥)

ومن غير شك أن الأنبياء كانوا مصرين في دعوتهم على أن التقوى والصلاح والعدل والرحمة كانت موجودة في الميثاق الاصلي (ارميا

١١ : ١ – ٨). ولكن اصرارهم كان اكثر على أن الله كان وراء تاريخ اسرائيل اللاحق كمحص ومنق للفضة ، فيجلس ممحصاً ومنقياً للفضة فينقي بني لاوي « ويصفهم كالذهب والفضة ليكونوا مقربين للرب تقدمة بالبر » (سفر ملاخي ٣ : ٣). كل ذلك بغرض تدعيم وإطالة عمر ما هو أساسي وضروري ونبذ وطرح ما هو ثانوي وعرضي . والنتيجة الصافية قد بينت بوضوح في قول « زكريا » المعروف « بنشيد زكريا » الذي أورده القديس لوقا في انجيله والذي كان ، بالرغم من وروده في العهد الجديد ، قبل السيد المسيح ، وكان يهودياً في فكرته ومصطلحاته. والنص الكامل لهذا النشيد تعليق موضح وشرح مثير للتحول في مركز الجاذبية والثقل – تحت تأثير الأنبياء – من أدنى إلى أعلى مستويات الدين في العهد القديم :

« تبارك الله رب اسرائيل لأنه تفقد شعبه وافتداه . فأقام لنا ركن الخلاص في بيت عبده داود . كما وعد بلسان أنبيائه الاطهار في العهد القديم . إنقاذاً لنا من أعدائنا وأيدي جميع مبغضينا . ورحمة لآبائنا وذكراً لعهده المقدس. والقسم الذي أقسمه لأبينا ابراهيم: «بأن ينعم علينا فننجو من أيدي أعدائنا . ونعبده بالتقوى والبر غير خائفين طوال أيام حياتنا . وأنت أيها الطفل ستدعى نبيّ العلا لانك تتقدم الرب لتعد طرقه . وتعلم شعبه أن الخلاص هو في غفران خطاياهم . تلك رحمة من لطف الهنا يتفقدنا بها الشارق من العلى . ليضيء للقاعدين في الظلمة وظلال الموت ويسدد خطانا لسبيل السلام » (انجيل القديس لوقا ١ : ٦٨ – ٧٩) .

وقبل سماعنا لكلام الأنبياء ونبوءاتهم كان من الممكن أن نتوقع الاستنتاج الذي تضمنته الآية ٧٤ من النص السابق على النحو التالي : « لقد نجانا من أيدي أعدائنا فعسانا أن ندخل ونملك الأرض التي وعد الله بها آباءنا » .

ولكن هذا هو ما لم يقله زكرياء (في نشيده السابق) : وعليك أن تلاحظ وتسجل كيف أن زكريا قد حدد الحكمة الإلهية بقوله : « فننجو من أيدي أعدائنا . ونعبده بالتقوى والبر خائفين طوال أيام حياتنا . »

انه في ضوء عبادة الله بدون خوف وفي قداسة وتقى وفي ضوء الخلاص عن طريق نبذ الذنوب والخطايا (يجب) أن تفكر اسرائيل الآن في تحقيق وعود الله وبشائره المندرجة تحت العهد المقدس .

ويختلط تاريخ « الميثاق المقدس » أو يرتبط بمصطلحين دينيين آخرين قد أصبحا يعبران عن مزيد من وعود الله وبشائره وهما : « المسيح » ، و« الروح » .

١ — المسيح :

فكلمة المسيح « Messiah » ، مشتقة (من مسح بالزيت ، كان الأقدمون يمسحون الملوك عند توليهم الملك ، وكان اليهود يمسحون عظيم الأحبار عند تنصيبه . اطلقوا هذا الاسم على رسول الله الذي كانوا ينتظرونه لخلاصهم). وقد طبقت عملية المسح هذه أول ما طبقت على « شاول» كما يقص علينا ذلك العهد القديم في « سفر صموئيل الاول » .

فقد جاء فيه : « فأخذ صموئيل قنينة الدهن وصب على رأسه (أي رأس شاول) ، وقال أليس لأن الرب قد مسحك على ميراثه رئيساً » (سفر صموئيل الاول ١٠ : ١) . وقد طبقت عملية المسح هذه بعد ذلك على داود عليه السلام لتعني أيضاً التعيين الالهي للشخص المعني أن يكون ملكاً على بني اسرائيل . فقد ورد في سفر صموئيل الاول أيضاً : « فقال الرب قم امسحه لأن هذا هو . فأخذ صموئيل قرن الدهن ومسحه في وسط إخوته . وحل روح الرب على داود من ذلك اليوم فصاعداً » (صموئيل الاول ١٦ : ١٣) .

وفي (سفر صموئيل الثاني ٧ : ١٢) ، نجد أن ملكية داود أو نظامه الملكي قد خطط له في المستقبل لان يكون في خط ملكي وراثي . وبالرغم من أن ملكية داود وغيره من أنبياء بني اسرائيل الذين تولوا الحكم كانت من اختيار الله ، فقد كانت النظرة اليها على أنها بشرية خالصة ، نابعة من الارض وتركيزها أساساً على صفات ونعوت سياسية وعسكرية . وقد كان سيدنا داود التجسيد المثالي لذلك الحكم الملكي . وقد لعب الحكام الصالحون دوراً هاماً في تحقيق وعود الله تحت العهد المقدس .

حتى إذا أتينا إلى (سفر اشعياء ١١ : ١ – ٥) و(سفر ارميا ٢٣ : ٥ ، ٦) فاننا نجد فيها نبوءات ونصوصاً تخبر عن وتتنبأ بملك معين من نسل داود . سوف يتصف بصفات زائدة من صفات الدين الحقيقي التي من بينها الحكمة والعدل والتقوى ... وبعبارة أخرى إن أنبياء بني اسرائيل كما أعادوا تفسير العهد المقدس « فرفعوه إلى أعلى مستوى في البصيرة

الخلقية والروحية فانهم أعادوا أيضاً تفسير وتأويل مفهوم « المسيح » .

وبعد ذلك بمئات السنين ، وفي عهد المكابيين بالذات ظهرت مدرسة فكرية جديدة ترى أو تستهدف تأسيس مملكة الله ليس بالوسائل المألوفة أو الطبيعية ، ولكن بتدخل الله المعجز والخارق للعادة في التاريخ .

وفي سفر«دانيال » . نجد أن خليفة الله في تأسيس مملكته على هذه الارض قد أعطي لقب « ابن الانسان » . وهذا الرمز أو الشكل الغامض يبدو فيه الاتجاه الواضح نحو تشخيص القديسين من أعلى المستويات ، وربما تشخيص الأمة اليهودية كشخصية موحدة . وفي (أينوخ الاول ٣٧ — ٧٠) ، قد أصبح « ابن الانسان هذا » فرداً محدداً ، وسمي أيضاً ، «المسيح» أو « الممسوح » والمختار والتقي . وفي رؤيا « دانيال » نجد أن ابن الانسان هذا كان له وجود مسبق وله شكل سماوي يأتي مع سحب السماء » . فهو يقول : « كنت أرى في رؤى الليل ، واذا مع سحب السماء مثل ابن الانسان أتى وجاء الى القديم (من الايام) فقربوه فأعطي سلطاناً ومجداً وملكوتاً ... » (سفر دانيال ٧٠: ١٣، ١٤) .

ومما يجب ملاحظته في هذا الصدد أن هذه المفاهيم أو المعاني المختلفة التي أخذتها كلمة « المسيح » لا يحل أحدها محل الآخر ، بل هي باقية جميعاً في الشعور الجماعي لدى بني اسرائيل مع الاختلاف في درجة هذا الشعور والوعي . ومن ثم ، فانه عند بداية العهد المسيحي كانت توجد ثلاثة تصورات على الاقل ، لما سيكون عليه « المسيح » أو المخلص المنتظر ، هي : التصور السياسي ، والتصور الديني ، والتصور الروحي الرؤيوي .

٢ ــ الروح :

فكلمة « روح » هي ترجمة للكلمة العبرية « رواح » التي لها معنيان ، أحدهما : انها تأتي بمعنى الريح التي هي قوة غير مرئية خارج الانسان وتحدث آثاراً يمكن رؤيتها . ومنذ العصور الاولى في التاريخ قد اعتبرت الريح تجلياً لله غير المرئي وهو يتصرف في عالمه ومخلوقاته . فقد جاء في (سفر التكوين ١ : ١ ، ٢) « في البدء خلق الله السموات والارض . وكانت الارض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة وروح الله يرف على وجه المياه » . والمعنى الثاني لكلمة « رواح » العبرية أنها تعني « النفس » التي توجد داخل الانسان فتمده بالحياة ، فهي نسمة الحياة التي يصير بها الكائن نفساً حية (سفر التكوين ٢ : ٧). وعلى هذا فان نفس هذا المصطلح يوجد بين المفهوم الموضوعي لقدرة الله وقوته وبين المفهوم الذاتي لحياة الانسان الداخلية . وفي العهد القديم تعتبر « روح الله » هي الرابط بين الله وخلقه ، وهي اذا حلت على انسان جعلته يأتي بأعمال بطولية وبأمور خارقة للعادة ، وذلك كما حدث بالنسبة لشمشون (سفر القضاة ١٤ : ١٩) .

والأنبياء المدفوعون في دعوتهم الى الله بقوة الروح الالهية قد بينوا أن الوظيفة الحقيقية للروح أن تأتي بحياة الانسان الى حالة توافق اخلاقي وامتثال لارادة الله . فها هو ذا « ميخا » يقول : « لكنني أنا ملآن قوة بروح الرب وحكماً وبأساً لأخبر يعقوب بذنبه واسرائيل بخطيته » (سفر ميخا ٣ : ٨) .

وهكذا هو « حزقيال » يقول في نفس المعنى أيضاً : « وأجعل روحي

في داخلكم ، وأجعلكم تسلكون في فرائضي وتحفظون أحكامي وتعملون بها » (سفر حزقيال ٢ : ٢٧) .

وكما لاحظنا من قبل أن أشعياء يجعل خاصية أو منحة الروح هي العلامة المميزة للمسيح أو المخلص الموعود به . فهو يقول عنه : « ويحل عليه روح الرب : روح المشورة والقوة ، روح المعرفة ومخافة الرب » (سفر اشعياء ١١ : ٢) .

وفي سفر يوئيل نجد أن بشارة الروح قد عممت وجعلت عالمية ، فهو يقول : « ويكون بعد ذلك أني أسكب روحي على كل بشر ، فيتنبأ بنوكم وبناتكم ويحلم شيوخكم أحلاماً ويرى شبابكم رؤى . وعلى العبيد أيضاً وعلى الاماء أسكب روحي في تلك الايام » (سفر يوئيل ٢ : ٢٨ ، ٢٩).

وهكذا نجد أن هذه النصوص تعطي نظرة للروح على أنها أمر إلهي ومبدأ دينامي لتوثيق الصلة بين الله (الخالق) والانسان (المخلوق) ، يمدد وينسج معاً من مصادر متعارضة وخاصة المختلفة من دين اسرائيل لغاية عالمية . هذه الغاية هي العهد الجديد الذي تنبأ به إرميا » في سفره ، حينما قال :

« ها أيام تأتي يقول الرب : وأقطع مع بيت اسرائيل ومع بيت يهوذا عهداً جديداً . ليس كالعهد الذي قطعته مع آبائهم يوم أمسكتهم بيدهم لأخرجهم من أرض مصر حين نقضوا عهدي .

يقول الرب . بل هذا هو العهد الذي أقطعه مع بيت اسرائيل بعد تلك

الأيام يقول الرب : إجعل شريعتي في داخلهم واكتبها على قلوبهم وأكون لهم إلهاً وهم يكونون لي شعباً . ولا يعلّمون بعدُ كل واحد صاحبه وكل واحد أخاه قائلين أعرفوا الرّب لانهم كلهم سيعرفونني من صغيرهم الى كبيرهم يقول الرب : «لأني أصفح عن إثمهم ولا أذكر خطيتهم بعد» (سفر إرميا ٣١ : ٣١ — ٣٤) .

٤ — تحقيق وإنجاز :

وفي هذه النصوص التي اقتبسناها يبدو واضحاً أن العهد القديم كان ينظر الى ما هو أبعد من نفسه لانجاز وتحقيق وعود الله وبشائره في المستقبل. والعهد الجديد هو السجل لهذا الانجاز أو الاتمام . « وانما حدث هذا كله ليتم ما أوحى الرب إلى النبي » . فهذه عبارة نجدها تتكرر في انجيل القديس متى أكثر من مرة . فمن ذلك : (متى ١ : ٢٢ ، ٢ : ٢٣ ، ٤ : ١٤ — ١٦ ، الخ) .

فالاناجيل المتشابهة في نظرتها ومحتواها تحكي قصة تطور الوعي المسيحي للسيد المسيح وقصة تطور قبوله من قبل حوارييه على أنه المخلص والمنقذ المنتظر الموعود به . والنظرة الافتتاحية تحدث عند تعميد السيد المسيح . يقول القديس مرقس في أول فصل من انجيله :

« وفي ذلك الزمان جاء يسوع من ناصرة الجليل ، واعتمد على يد يوحنا في الاردن . وبينما هو خارج من الماء رأى السموات تنشق ، والروح ينزل عليه كأنه حمامة ، وإذا صوت من السماء يقول : أنت ... الحبيب الذي عنه رضيت » (انجيل مرقس (١ : ٩ — ١١) .

وفي الحال واجه السيد المسيح نفسه بالسؤال التالي : « أي نوع من المسيح أنا ؟ »

ولقد دفعه الروح الى الذهاب الى البرية ليعد نفسه ويصفيها للمهمة التخليصية والرسالة المكلف بها . يقول القديس مرقس في وصف هذه التصفية الروحية : « ومضى به الروح عندئذ الى البرية ، فأقام في البرية أربعين يوماً يجربه الشيطان وكان يصحب الوحش ، وكانت تخدمه الملائكة » (مرقس ١ : ١٢ ، ١٣) .

وتأملات السيد المسيح التي صورها لنا (القديس متى ٤ : ١ — ١١ ، والقديس مرقس ٤ : ١ — ١٣) ترينا كيف أنه عليه السلام أراد بعملية الابعاد والاقصاء أن يضيق الخطوط الممكنة للنشاط إلى واحد . فقد رفض المفهوم الرؤوي والفوقطبيعي ، أولاً بالنسبة لحاجته الجسمية المباشرة (إنجيل متى ٤ : ٢ — ٤) ، ثم ثانياً لاعتبار قلقه وتطلعه العقلي الشديد المتمثل في تساؤله : « كيف أعرف أنني المسيح المنتظر ؟ » . (القديس متى ٤ : ٥ — ٧) . كما رفض أيضاً الحلم السياسي ومجد الحكم الدنيوي اللذين كانا عزيزين ومرغوبين الى الزبلوتيين في تلك الأيام (القديس متى ٤ : ٨ — ١٠) .

ومن ثم فإنه لم يبق من مفهوم مقبول لديه لفكرة المسيح إلاّ المفهوم النبوئي المثالي الذي صوره كل من اشعياء وارميا والذي أصبح بمقتضاه يتصف بروح الحكمة ، والمعرفة ، والنصيحة والمشورة . ولذا ، فان السيد المسيح بعد رجوعه من البرية أخذ يقوم بدوره التخليصي كنبي

ومعلم للدين الحقيقي . يقول القديس متى في تأكيد هذا الأمر : « وبدأ يسوع من ذلك اليوم يعظ فيقول : « توبوا ، قد اقترب ملكوت السموات» (متى ٤ : ١٧) ، كما يقول القديس لوقا في هذا الصدد أيضاً : « وكان يعلّم في مجامعهم فيمجدونه جميعاً » (لوقا ٤ : ١٥) .

ولب دعوة السيد المسيح عليه السلام هي المناداة بألوهية الله وربوبيته. فالفريسيون الذين كانت تسيطر عليهم تنقية القانون قد جعلوا الدين معقداً. فجاء السيد المسيح ليقطع هذا الغرض والاضطراب ويختصر الطريق عن طريق رسم الخطوط الكبرى لما يجب أن تكون عليه علاقة الانسان بربه وخالقه واعتبار هذه العلاقة هي لب الدين الحقيقي . ويرتبط بهذا المبدأ ويتكامل معه مبدأ آخر أساسي في دعوة المسيح عليه السلام وفي الأخلاق المسيحية ، وهو مبدأ تقليد المخلوق للخالق (ينظر في بيان هذين المبدأين انجيل القديس متى ٥ : ٤٣ – ٤٨) .

وبطريقة أخرى يمكن توضيح ما تقدم على أساس القول بأنه منذ البداية كانت الشريعة وتعاليم الانبياء تعتمد أساساً على الوصيتين العظيمتين التاليتين اللتين وردتا في كل من العهد القديم والعهد الجديد :

«فتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك» (سفر التثنية ٦ : ٥).

« لا تنتقم ولا تحقد على أبناء شعبك بل تحب جارك كنفسك ، أنا الرب » (سفر اللاويين ١٩ : ١٨) .

وعندما سأل أحد الفريسيين السيد المسيح : «ما هي أكبر وصية في الشريعة ؟ » فأجابه السيد المسيح بالوصيتين السابقتين : « أحب الله ربك بجميع قلبك وجميع نفسك وجميع ذهنك تلك هي الوصية الكبرى والأولى . والثانية مثلها : أحبب قريبك حبك لنفسك . بهاتين الوصيتين يرتبط كلام الشريعة كلها والأنبياء » (انجيل القديس متى ٢٢ : ٣٥ ـ ٤٠).

وهكذا يتبين مما تقدم أن السيد المسيح لم يأت ليهدم كلام الشريعة وتعاليم الأنبياء الذين سبقوه بل جاء ليتمها . وقد ورد عن السيد المسيح ما يؤيد هذا المعنى . فقد جاء في انجيل متى ما نصه :

« لا تظنوا اني جئت لأبطل كلام الشريعة والأنبياء . ما جئت لابطل بل لاكمل » (انجيل متى ٥ : ١٧) .

« افعلوا للناس ما أردتم أن يفعله الناس لكم . هذه هي خلاصة الشريعة وكلام الأنبياء » (انجيل متى ٧ : ١٢) .

ولهذا فان مجيء سيدنا عيسى عليه السلام كان تحقيقاً لبشارة « موسى الثاني » التي وردت في كل من سفر التثنية وكتاب أعمال الرسل . فقد جاء في (سفر التثنية ١٨ : ١٥) «يقيم لك الرب إلهك نبياً من وسطك من اخوتك مثلي له تسمعون » وقد زاد مؤلف كتاب أعمال الرسل هذه النبوءة توضيحاً حين قال : فلقد قال موسى : « سيبعث الله ربنا من بين اخوتكم نبياً مثلي ، فاستمعوا له في جميع ما يقول لكم ، ومن لم يستمع لذلك النبي يستأصل من بين الشعب » (اعمال الرسل ٣ : ٢٢) .

ولكن منذ الفترة الاولى لدعوته وتبشيره سبب له تفسيره للشريعة وتطبيقه للتعاليم الخاصة به صراعاً وتصادماً مع الفريسيين من اليهود وأصبح اختفاؤه أمراً وشيكاً .

« ... فخرج الفريسيون وائتمروا به مع الهيرودسيين ليهلكوه » (انجيل القديس مرقس ٣ : ١ — ٦) .

وبمجرد أن اعترف به القديس بطرس على أنه المسيح أو المخلص المنتظر المبشر به من قبل في التوراة ، تنبأ بما سيقع له من آلام ، وربط مهمته التخليصية وما سيترتب عليها من تضحيات بذلك المثل الأعلى التنبؤي الذي صوره (اشعياء في سفره ٥٣) وجعل منه مثالاً يحتذى في التضحية والصبر على الآلام .

وهكذا برز تيار وعي السيد المسيح برسالته المسيحية وبمهمته التخليصية إلى مستوى جديد وأعلى من ذي قبل غير عابىء بالتحديات ولا بالامتحان القاسي الذي سوف يجره هذا البروز أو الظهور الواضح . بل إن السيد المسيح بعد تحقيق هذه المرحلة من الوعي الواضح لدوره بدأ يعلم تلاميذه وحوارييه « أن ابن الانسان يجب عليه أن يعاني آلاماً شديدة .... وكان يقول هذا الكلام صراحة » (انجيل القديس مرقس ٨: ٢٧ — ٣٣).

وهنا تجب ملاحظة أن فكرة المسيح المخلص التي أبرزها بل قام عليها العهد الجديد تختلف عن فكرة عبد الله المعذب والمحتمل لالوان القسوة في سبيل الله التي صورها العهد القديم في سفر اشعياء السالف الذكر . إن

الفكرتين أو المفهومين مختلفين تماماً ولا يرتبط أحدهما بالآخر . فالمسيح، كخليفة الله في تأسيس المملكة الروحية ، يجب أن يكون رمزاً منتصراً... ومن هنا جاء اندهاش الحواريين لتنبؤ السيد المسيح بما سيحدث له من امتحان قاس (انجيل القديس مرقس ٨: ٣٢، ٩ : ٣٢، ١٠ : ٣٢).

وفي الحجرة العليا ليلة كشفه عما سيحدث له ... نجده يبارك الخبز ويكسره .... وقد قال وهو يشارك الحاضرين معه الكأس : « هذه الكأس هي العهد الجديد .... » (رسالة بولس الأولى إلى أهل قورنتس ١١ : ٢٣ — ٢٦) .

وقد أعلن السيد المسيح أمام « بيلاطس » ، عندما أتى به إليه وسأله « بيلاطس » : «أأنت ملك اليهود ؟ » ..... أجاب يسوع « ليست مملكتي من هذا العالم .... » (انجيل القديس يوحنا ١٨ : ٢٨ — ٣٢٦) .

وقد بينت اجابة السيد المسيح هذه بصراحة ووضوح تامين أن العهد القديم باهتماماته الارضية والاقليمية هو الآن لاغ وفاقد القيمة .

وأمام عظيم أحبار اليهود أعلن عيسى عليه السلام أنه ابن الانسان المسيح أو المخلص الموعود به بما تحمل هذه الكلمة من المعاني الروحية والرؤيوية (انجيل القديس مرقس ١٤ : ٦٢) .

وقد كانت الكلمة الاخيرة للسيد المسيح الى تلاميذه وحوارييه ، قبل صعوده الى السماء تأكيداً لبشارة الرب جل وعلا ، انهم سيعمدون قريباً بروح القدس (انجيل القديس لوقا ٢٤ : ٤٩ وأعمال الرسل ١ : ٤ ، ٥) .

« ولما كان اليوم الخمسون ، كانوا مجتمعين كلهم في مكان واحد، فانطلق من السماء بغتة ، دوي كريح عاصفة ، فملأ جوانب البيت الذي كانوا فيه ، وظهرت لهم ألسنة كأنها من نار قد انقسمت فوقف على كل منهم لسان ، فامتلأوا جميعاً من الروح القدس ، وأخذوا يتكلمون بلغات غير لغتهم ، على ما منحهم الروح القدس أن ينطقوا » (أعمال الرسل ٢ : ١ — ٤) .

وقد ظهرت الروح في هذه الحادثة في منح اللغات الى الحواريين. وكان القديس بطرس سريعاً في اشارته الى نبوءة « يوئيل» وفي استجابته لها ومحاولة تحقيقها (أعمال الرسل ٢ : ١٦ — ٢١ ، وسفر يوئيل ٢ : ٢٨ —٣٢) ولكن التضمين أو التطبيق العميق لهذه الخبرة الروحية لم يفهم الا بالتدريج . وقد فهمت أو اعتبرت« الروح » على أنها العامل أو المبدأ الديناميكي للوحدة أعطاها الله الى هذا المجتمع الجديد .... ومتطلبات العضوية في هذا المجتمع الجديد ترجع الى مطلبين أساسيين هما : التوبة، وقبول السيد المسيح على أنه المخلص الموعود به.....(أعمال الرسل٢ : ٣٦، ٣٨). ويستطيع الشخص أن يصبح عضواً في هذا المجتمع أو الاسرة بتبني التعميد (رسالة بولس الىأهل رومية ٨ : ١٥ ،ورسالته الىأهل غلاطية ٤ : ٦) . والقديس بطرس الذي تلقى منحة الروح قال للمسيحيين الاول في موعظته الاولى : « فان الوعد لكم ولأولادكم وجميع الاباعد كل من يدعوه الله ربنا » (أعمال الرسل ٢ : ٣٩) ، ولعله كان يدرك بصعوبة الاهمية العالمية لكلامه هذا . وخبرة بطرس التي جاءت

متأخرة بعد ذلك مع « قورنيليوس » قائد المائة من الفرقة الايطالية فتحت عينيه على حكمة الله ورحمته الواسعة كرباط مقدس يجمع بين اليهود والوثنيين (اعمال الرسل ١٠ : ١ – ١٨). ولكن القديس بولس هو الذي أدرك بوضوح وبسط هذه الخاصية العالمية الثورية للعهد الجديد .

وقــد استطاع القديس بولس في رسائله الدينية القيمة بفكرها الذي يتحدى الصياغة المنظمة – أن يحيط بالتغيرات التي طرأت عــلى هذا الموضوع . فبالنسبة لليهود الذين كانوا في أيامه والذين كانوا لا يزالون متمسكين بالقانون أو الشريعة الموسوية عــلى أنها غاية كل الدين الحقيقي ، فقد بين لهم أن حكمة الله في اعطاء الشريعة قد تحققت لمجيء المسيح عليه السلام فهو يقول في رسالته الى أهل رومية : « فغاية الشريعة هي المسيح لينال البر كل مؤمن » (رسالة بولس الى أهل رومية ١٠: ٤). ويقول في (رسالته الىأهل قولس ١: ١٤) : « فكان به الفداء وغفران الخطايا » .

وعلى هذا الاساس فان العقيدة في المسيح وفي رسالته عليه السلام قد حلت محل الشريعة من حيث أنها شرطاً لسلام الانسان مع الله (رسالة بولس الى أهل رومية ٣ : ٢٠ – ٢٨ ، ٥ : ١). وعلى هذا الاساس ، فانه لم يبق أي فرق أو تمييز بين اليهودي واليوناني « فالرب ربهم جميعاً يوسع على كل من يدعوه » (رسالة بولس الى أهل رومية ١٠ : ١٢) . وقد أكد هذا المعنى بصورة أوضح عندما قال في رسالته الى أهل غلاطية :

« لأنكم جميعاً .... سواء بالإيمان بالمسيح .. فانكم قد اعتمدتم

جميعاً في المسيح ، .... فلم يبق من بعد يهودي أو يوناني ، عبد أو حر ، ذكر أو أنثى ، لانكم جميعاً واحد في المسيح ... فاذا كنتم للمسيح فأنتم اذاً نسل إبراهيم وانتم الورثة على ما قضى الوعد» (رسالة بولس الى أهل غلاطية ٣: ٢٦ — ٢٩) .

فأولئك الذين دخلوا في علاقة العهد الجديد بالله عن طريق الايمان برسالة السيد المسيح هم «اسرائيل الله الحقيقية» (رسالة بولس الى أهل غلاطية ٦ : ١٦). وقد كان هذا هو حكمة الله البالغة والسر الخفي لارادته الحكيمة قبل أن يقيم العالم « أي ذلك التدبير الذي ارتضى قضاءه في المسيح ليحققه عندما تتم الازمنة » .... « وهو أن الوثنيين هم في المسيح يسوع شركاء اليهود في ميراثه .... ووعده ، ويعود ذلك الى البشارة » (رسالة القديس بولس الى أهل أفسس ١: ١٠ ، ٣: ٦) .

ففي العهد الجديد يتحد المؤمن مع السيد المسيح بالتعميد (رسالة بولس الى أهل رومية ٦: ١ — ١١). ويأتي تأثير الروح في هذا الاتحاد من حيث انها تولد في الفرد المؤمن وفي جماعة المؤمنين الميل الى أفكار وأخلاق السيد المسيح (رسالة بولس الاولى الى أهل قورنتس ٢: ١٦) . وفي الاصحاح الثالث عشر من نفس هذه الرسالة نجد القديس بولس يصف العظمة الكبرى للروح على أنها « المحبة » ، مع ملاحظة أن « المحبة » في عرض بولس لها هي صورة مصغرة للسيد المسيح نفسه أو لأخلاقه . فقد عانى المسيح عليه السلام طويلاً ، ولكنه كان على الدوام لطيفاً ومحباً وشفوقاً ، ولم يتخل أبداً عن هذه الصفات . وقد أعطيت الروح للذين

آمنوا بالمسيح ليظهروا في سلوكهم وحياتهم نفس ذلك النوع من الحياة .

« أما ثمرة الروح فهي المحبة والفرح والسلام وطول الأناة واللطف ودماثة الاخلاق والامانة والوداعة والعفاف . وما من شريعة تنهي عن هذه الاشياء» (رسالة القديس بولس الى أهل غلاطية ٥: ٢٢).

٥ ــ خاتمة واستنتاج :

لقد وعد الله بني اسرائيل في العهد القديم بالنصر العسكري على أعدائهم ، من اجل أن يدخلوا الارض التي يسيل فيها اللبن والعسل ، على شرط أن يطيعوا أوامره ووصاياه . ولكن اسرائيل فشلت في المحافظة على العهد ، ومن ثم خسرت وعود الله وبشائره . وقد وعد الله بعهد جديد، لا ليكتب على ألواح من حجر ، ولكن ليكتب على قلوب المؤمنين من خلقه (سفر ارميا ٣١: ٣١ ــ ٣٣)، ورسالة بولس الثانية الى أهل قورنتس ٣: ٢) .

وفي هذا العهد الجديد نجد المسيح عليه السلام هو الوسيط (الرسالة الى العبرانيين ٨: ٦ ــ ١٣ ، ٩ : ١٥). والسيد المسيح بدلاً من أن يوجه الى الانتصار على الاعداء فقد وجه ودعا الى الانتصار على الخطيئة .... (رسالة بولس الأولى الى أهل قورنتس ١٥ : ٥٥ ــ ٥٧). وبدلاً من الوعد بأرض كنعان فقد أصبح الوعد بمملكة روحية (انجيل القديس لوقا ١٢ : ٣٢). وبدلاً من منح الناس أو وعدهم باللبن والعسل ، فقد منحوا ثمرة الروح وهي المحبة والفرح والسلام والتسامح حقاً « ان جميع وعود الله هي فيه نعم » (رسالة القديس بولس الثانية الى أهل قورنتس ١ : ٢٠).

هل لليهود حق إلهي في فلسطين ؟

للدكتور فايز ا. صايغ *

مقدمة

ان الصفحات التالية تحتوي بعض الملاحظات حول الآراء الجدلية الصهيونية المتعلقة بالحقوق التي ادعاها اليهود في أرض فلسطين ، أو ادعيت باسمهم ، معتمدين في ذلك على وعود معينة منحها الله لسيدنا ابراهيم وسيدنا اسحاق وسيدنا يعقوب وعلى تنبؤات معينة قال بها أنبياء بني اسرائيل أثناء النفي البابلي . وبناء على ذلك فان تأسيس دولة اسرائيل من خلال الاحتلال الصهيوني للاراضي الفلسطينية عام ١٩٤٨ م، هو «تنفيذ لوعود مقدسة وتحقيق لحقوق إلهية » مدّعاة لليهود في «الارض المقدسة » .

ونصوص الكتاب المقدس المستشهد بها في هذه الآراء الجدلية المتعلقة بتلك الدعوى الصهيونية تقع تحت فصيلتين واسعتين ، هما كالآتي :

---

* إنه الكاتب الفلسطيني المشهور والمحاضر والمتحدث اللبق .

١ ـ نبوءات تفوه بها الانبياء أثناء فترة النفي البابلي تتنبأ بالرجوع الى فلسطين من بابل ومن كل الاراضي التي نفي اليها اليهود .

٢ ـ وعود بامتلاك فلسطين من قبل ذرية ابراهيم عليه السلام .

ونظراً لأن هاتين الفصيلتين من النصوص متميزتان وأن درجة وثاقة صلتهما بموضوع بحثنا غير متساوية ، فانهما فحصتا منفصلتين في الفقرة الاولى والفقرة الثانية من هذا البحث. وفي الفقرة الثالثة من هذا البحث، سوف نبحث الضوء الجديد الذي يلقيه الانجيل المسيحي على نصوص العهد القديم التي تحت الدراسة والبحث .

أولاً : تنبؤات الرجوع من المنفى البابلي :

أثناء فترة النفي البابلي كان أنبياء بني اسرائيل يعلمون الناس ويوجهونهم الى أن بقية اليهود أو الباقين منهم سوف يرجعون الى فلسطين ويعيدون بناء الهيكل وحوائط القدس ويعيدون الحياة الدينية الى المجتمع .

لقد كانت تنبؤات هؤلاء الانبياء تنبؤات واضحة بأحداث عملية ملموسة انها كانت تنبؤات برجوع من منفى معين ومحدد .

وهذه التنبؤات بالعودة من منفى معين ، وهو المنفى البابلي ، قد تحققت بالفعل،والهيكل وحوائط القدس قد بنيت حقاً . وفترة من الاستقلال السياسي تحت حكم « المكابيين » قد تحققت فعلاً . وباختصار ، فان كل ما تنبأ به الأنبياء قد تحقق .

وطالما أن نبوءات العودة قد تحققت بالفعل فانه لا يمكن أن ينظر اليها على أنها ما زالت تنتظر التحقيق ، فالشخص لا يستطيع أن يقرأ في هذه التنبؤات ما لم تعلنه ، ولا يستطيع أن ينسب اليها ما لم تحمله ولا تتصوره، ولا أن يبني عليها حالة لعودة ثانية من نفس أو هجرة لاحقة حدثت بعد العودة المتنبأ بها من المنفى والتي تحققت بالفعل في الماضي البعيد .

ولسنا في حاجة الى التأكيد على أنه لا يوجد في العهد القديم تنبؤ بعودة ثانية بعد العودة من المنفى البابلي .

ثانياً : الوعود المتعلقة بامتلاك فلسطين :

(أ) — اقتباس لبعض النصوص المتعلقة بهذه الوعود :

في الدراسة التي نشرها الاستاذ « الفريد غوليوم » بخصوص هـذه الوعود أجمل منها هذه الوعود على النحو التالي :

الوعد الصريح الاول بفلسطين لنسل ابراهيم كان في « شكيم » (هي نابلس الآن) :

« وظهر الرب لابراهيم وقال لنسلك أعطي هذه الارض ...؟»(سفر التكوين ١٢ : ٧) وعندما كان ابراهيم عليه السلام واقفاً على المرتفع قريباً من بيت لحم تلقى الكلمات التالية :

« لأن جميع الارض التي أنت ترى لك أعطيتها ولنسلك الى الابد » (سفر التكوين ١٣ : ١٥) وفي الاصحاح الخامس عشر من نفس السفر

السابق كان الوعد لسيدنا ابراهيم أكثر وضوحاً : « لنسلك أعطي هذه الارض من نهر مصر الى النهر الكبير نهر الفرات » (سفر التكوين ١٥ : ١٨) .

والوعود قد كررت أو أعيدت ثانية الى سيدنا اسحاق وسيدنا يعقوب في الاصحاح الثامن والعشرين من السفر السابق : « ... فقال أنا الرب إلّه ابراهيم أبيك واله اسحق . الارض التي أنت مضطجع عليها أعطيها لك ولنسلك . ويكون نسلك كتراب الارض وتمتد غرباً وشرقاً وشمالاً وجنوباً . ويتبارك فيك وفي نسلك جميع قبائل الارض » (سفر التكوين ٢٨ : ١٣ ، ١٤).

وعندما عمل ابراهيم عهداً مع الله عن طريق الختان فإنه وعد بجميع أرض كنعان كملك ابدي له ولنسله (سفر التكوين ١٧ : ٨).

« وهناك نصوص أخرى يمكن اقتباسها في هذا الصدد ، ولكن ما ذكرناه منها هي نصوص ممثلة ، والنصوص الاخرى لا تضيف شيئاً مناسباً هنا » . (١) .

(ب) — من هم ورثة هذه الوعود ؟

انه لواضح من النصوص التي اقتبسناها منذ قليل ومن النصوص المماثلة لها ، أن الوعود أعطيت في بادىء الامر لابراهيم ولنسله من بعده بصورة

---

(١) ألفريد غوليوم ، « الصهاينة والكتاب المقدس » .

عامة . وعندما أعيدت هذه الوعود في فترة لاحقة الى اسحق ويعقوب وذريتهما ، ولم يذكر أي استثناء للمنحدرين الآخرين من نسل ابراهيم. وشمولية الوعود الاولى لم تلغ بالضيق النبي للوعود المتأخرة .

وبما أن اليهود ليسوا هم الوحيدين المنحدرين من سيدنا ابراهيم ، فانه لا يمكن أن يوجد أي مبرر للادعاء بأن اليهود هم الوحيدون ورثة الوعد بفلسطين لابراهيم عليه السلام ولنسله من بعده .

ونظراً لان اليهود ليسوا جميعاً من نسل سيدنا ابراهيم ، فإنه لا يمكن أن يكون هناك أي مبرر للادعاء بأن كل اليهود – اليهود كيهود – هم ورثة الوعد بفلسطين .

وبعبارة أخرى ، أن محاولة اليهود لجعل الوعود الدينية المسجلة في العهد القديم تعطيهم السند في أن فلسطين تخص كل اليهود وتخص اليهود وحدهم هي محاولة باطلة وأمر تناقضه أو تتعارض معه حقيقتان أساسيتان : أولاهما : أن كثيراً من غير اليهود هم من نسل سيدنا ابراهيم ، وثانيتهما : أن كثيراً من اليهود في العالم ليسوا من نسل سيدنا ابراهيم .

١ – كثير من غير اليهود هم منحدرون من سيدنا ابراهيم :

وبقطع النظر عما تقرره التعاليم والتقاليد الاسلامية ، فان هناك دليلاً كافياً في العهد القديم نفسه على أن « نسل إبراهيم » يشمل العرب أيضاً . وذلك عن طريق الابن الاول لسيدنا ابراهيم ، وهو سيدنا اسماعيل الذي ولد لسيدنا ابراهيم من زوجته هاجر المصرية . فكثير من القبائل العربية

أصبحت من نسل سيدنا ابراهيم عليه السلام عن طريق ابنه اسماعيل وعن طريق أبنائه من زوجته الثانية « قيتورة » (سفر التكوين ٢٥ : ١ ـــ ٤ ، وسفر الاخبار ١ : ٣٢) .

ومن المهم أن نلاحظ أنه في نفس النص الذي يقول فيه الله تعالى لابراهيم عليه السلام : « لأنه بإسحاق يدعى لك نسل » ويضيف تعالى قوله : « وابن الجارية (أي اسماعيل) «سأجعله أمة لأنه نسلك» (سفر التكوين ٢١ : ١٢ ، ١٣). وتضييق المـــدى لهذا المصطلح « نسل إبراهيم » في الوعود اللاحقة لا يلغي الشمول لهذا المصطلح .

وأكثر من ذلك ، فإن كثيراً من المنحدرين من سيدنا ابراهيم عن طريق اسحاق ويعقوب ـــ أي أن كثيراً من « نسل ابراهيم » بالمعنى الضيق لهذه الكلمة ـــ هم من غير اليهود الذين يبدو أن إبعادهم من « نسل ابراهيم أوحت به أو أدت اليه المماثلة أو المطابقة غير الجائزة بين « نسل ابراهيم » وبين « اليهود » . ومقدار كبير من اليهود الذين نفوا الى أرض بابل فضلوا أن يبقوا حيث كانوا في المنفى ، بينما رجع يهود آخرون الى الارض المقدسة بعد انتهاء فترة النفي البابلي . واليهود الذين فضلوا عدم الرجوع الى الارض المقدسة هم الذين كونوا النواة أو الخميرة التي أصبحت فيما بعد العمود الفقري للكنيسة المسيحية والعنصر أو المكون الاساسي الذي لا يمكن تمييزه في سكان الشرق الاوسط .

٢ ــ كثير من اليهود هم ليسوا منحدرين من سيدنا ابراهيم:

وبقدر ما نجد أن كثيراً من اليهود هم من بين المنحدرين من سيدنا إبراهيم فاننا نجد أيضاً أن كثيراً جداً مـن اليهود هم ليسوا من « نسل إبراهيم » . والسبب في ذلك أن حركات التحول أو الارتداد الى اليهودية التي حدثت طوال القرون الماضية أدخلت في اليهود على اختلاف مراتبهم الكثيرين جداً ممن ليسوا من نسل ابراهيم .

وقبل ظهور السيد المسيح بعدة قرون فانه أصبح كثير من سكان الارض يهوداً ، وذلك حسب ما جاء في « سفر استير » : « وكثيرون من شعوب الارض تهودوا لأن رعب اليهوذ وقع عليهم » (سفر استير ٨ : ١٧). السيد المسيح نفسه قال إن الكتبة والفريسيين كانوا يحاولون جذب الناس الى دينهم ، فقـد جاء في انجيل القديس متى : « الويل لكم أيها الكتبـة والفريسيون المراءون ، تجوبون البحر والبر لتكسبوا دخيلاً واحداً ، فاذا هويتموه جعلتموه يستحق جهنم ضعف ما انتم تستحقون » (انجيل متى ٢٣ : ١٥) .

ولم تنته عملية التحول الى الدين اليهودي بالتشتت المتأخر لليهود . فمثلاً ، نجد أن تحولاً بالجملة الى اليهودية قد حدث بين الخزريين في روسيا في القرن الثامن عشر ، (وذلك حسبما جاء في الموسوعة العالميـة اليهودية ، الجزء السادس ، ص ٣٧٥ ــ ٣٧٨).

ولا يحتاج الباحث الى جلب مزيد من الادلة لتأكيد الحقيقة التي لا مراء فيها من أنه حتى بين اليهود لا وجود للصفاء العرقي .

٣ ـ الاستنتاج : ان نسل ابراهيم يتعذر تحديده :

والاستنتاج أو النتيجة التي لا مفر منها للمجموعتين السابقتين من النصوص والحقائق ، هي أن نسل ابراهيم متعذر أو غير ممكن تحديده اليوم . فالشخص ليس بأكثر قدرة على اقامة الدليل على من هو من بين اليهود من نسل ابراهيم من قدرته على اقامة الدليل أو على تحديد من هم من بين بعض الجماعات غير اليهودية ليسوا من ذرية سيدنا ابراهيم فبعد اكثر من خمسة وثلاثين قرناً من التمازج والاختلاط العرقي والتشتت والتحول من وإلى الدين اليهودي ، فان ذرية ابراهيم غير قادرة على التماثل والتطابق الدقيق . ان نسل ابراهيم غير قابل للتمييز السلالي والبيولوجي ، والتماثل أو التسوية بين اليهود وبين ذرية ابراهيم والمنحدرين منه هي خطأ مزدوج .

وبكل تأكيد اذن أن الادعاء الصهيوني أو الرأي المبالغ في تبسيطه والقائل بأن يهود اليوم هم ورثة الوعود التي منحها الله الى سيدنا ابراهيم (ثم كررت أو أعيدت ثانية الى اسحاق ويعقوب من بعده)، بخصوص امتلاك فلسطين ـ هو ادعاء أو رأي غير دقيق من وجهة نظر كل من قصوره وشموله .

ويتبع التسليم بهذا ، أنه لا يستطيع أي شخص أن يقيم الدليل أو يستشهد على يقين على أن الوعود التي سجلتها نصوص الكتاب المقدس هي صالحة لتبرير ادعائه الحق في فلسطين على أساس الانحدار من سلالة ابراهيم .

جـ ــ أين سحبت أو ألغيت تلك الوعود ؟

لقد كتب الدكتور « أزوالد ت. آليس » ، في مقال له فحص فيه مدى مناسبة أو تمشي الوعود التي هي معنا للنقاش مع الاحداث القريبة والجارية في فلسطين ، ما نصه : « هذا الوعد كان مشروطاً بطاعة ارادة الله ووصاياه وشريعته . وللتدليل على صدق هذا الفهم تجب ملاحظة العبارة التالية من سفر التكوين : « ويتبارك في نسلك جميع أمم الارض من أجل أنك سمعت لقولي » (سفر التكوين ٢٢ : ١٨). كما تجب ملاحظة الآية الأخرى التي وردت في الاصحاح السادس والعشرين من نفس السفر السابق ، حيث أن فكرة تجديد العهد لاسحاق قد تم توضيحها . تقول هذه الآية : « من أجل أن ابراهيم سمع لقولي وحفظ ما تحفظ لي أوامري وفرائضي وشرائعي » (سفر التكوين ٢٦ : ٥).

فهذا المبدأ القائم على أساس امتلاك الارض وتحقيق الرخاء مشروطان بطاعة الله وامتثال أوامره ووصاياه ، قد أكد مرات عديدة في الكتاب المقدس . وقد جعل هذا المبدأ واضحاً بصورة خاصة في الانذارات المقدسة التي وردت في كل من (سفر اللاويين ٢٦) ، (وسفر التثنية ٢٨) . وقد أعلن لبني اسرائيل بكل وضوح وتحديد أنهم سيشتتون بين الامم كعقاب لهم على عدم طاعتهم « ويبدؤكم الرب في الشعوب فتبقون عدداً قليلاً بين الامم التي يسوقكم الرب اليها » (سفر التثنية ٤ : ٢٧).

« ومن هنا يتضح أن نبوءات الأنبياء قد تنبأت بصراحة بمجرى تاريخ

بني اسرائيل .... وبكل تأكيد أن العهد القديم يعلم المؤمنين به ويخبرهم تنبؤياً وتاريخياً أن امتلاك الارض كان مشروطاً بطاعة الله تعالى الذي أعطى تلك الأرض لخليله ابراهيم عليه السلام » (سفر اشعياء ٤١ : ٨).

وقد كتب مثل هذا الكلام تقريباً الاستاذ « غوليوم » الذي سبق ذكره عندما قال :

« لا توجد لدينا تنبؤات دينية الا وهي توجهنا الى أن هذه الوعود بامتلاك أرض كنعان كانت مشروطة باحترام أو بالمحافظة على شروط العلاقة التعاهدية بين بني اسرائيل وبين الله تعالى ، وهي الشروط المتمثلة في الولاء والطاعة لله من قبل الفرد والمجتمع على حد سواء ، وفي تقوى الله الجماعية أو المشتركة ، حتى اذا ما فشل الشعب في المحافظة على هذه الشروط فانه عليه أن ينتظر حينئذ حكماً رهيباً » .

ويرتبط بهذه المناقشة التي بين أيدينا ارتباطاً مباشراً ذلك المثل الذي ضربه السيد المسيح للكرميين القتلة والذي ختمه بالكلمات التالية :

« لذلك أقول لكم : « ان ملكوت الله سينزع منكم ليسلم الى آمة تجعله يخرج ثمره » (انجيل متى ٢١ : ٣٢ — ٤٦).

ثالثاً : في ضوء الانجيل المسيحي :

انه في ضوء الانجيل المسيحي ، يجب على المسيحي أن يفهم الحقيقة الثابتة الباقية ووثاقة صلة الوعود التي سجلتها نصوص العهد القديم .

وبما أنه قد ظهر في انجيل السيد المسيح عليه السلام بعهد جديد للوجود

الانساني ولعلاقة الانسان بربه ، فان أي أثر بقي من البعد القديم يجب النظر اليه في ضوء البعد الجديد ، وعلى أنه متغير في شكله الخارجي وقابل للتحويل .

(أ) مفاهيم قديمة بمعاني جديدة :

١ ــ القانون أو الشريعة :

« سمعتم أنه قبل .... أما أنا فأقول لكم .... » بهذه الكلمات التي أعيدت عدة مرات في « الوعظة على الجبل » يقدم السيد المسيح تفسيراً جديداً لكثير من مبادىء القانون أو الشريعة ، وهي الشريعة التي لم يأت السيد المسيح ليبطلها بل ليكملها ، فهو يقول : « لا تظنوا أني جئت لأبطل كلام الشريعة والأنبياء : ما جئت لأبطل بل لأكمل » (انجيل متى ٥ : ١٧ ــ ٤٨).

٢ ــ الوطنية الضيقة في مقابل العقيدة العالمية :

ثم أن ضيق أفق واقليمية ووطنية التعاليم اليهودية مهدت الطريق لظهور عقيدة عالمية في انجيل السيد المسيح . فاذا كان سيدنا ابراهيم عليه السلام قد أخبر بما نصه : « وتتبارك فيك جميع قبائل الارض ». (سفر التكوين ١٢ : ٣) فان السيد المسيح قـــد طمأن « نيقوديمس » ــ وقد كان من أركان مجلس اليهود ــ بقوله : « ان الله بلغ من حبه للعالم ... » (انجيل القديس يوحنا ٣ : ١٦) .

وحواريو المسيح وتلاميذه قد بشروا بإنجيل لا يعترف بالتمييز بين اليهود والوثنيين . إن سر السيد المسيح ، الذي أدركه ودافع عنه « القديس بولس » — « لم يطلع عليه بنو البشر في القرون الماضية ، وكشف الآن في الروح لرسله ... وهو أن الوثنيين هم في المسيح يسوع وشركاء اليهود في ميراثه ... » (رسالة القديس بولس الى أهل افسس ٣ : ٤ — ٦) .

ان السيد المسيح — الذي أخبر في مرحلة مبكرة من رسالته ودعوته ، المرأة الكنعانية التي جاءته تطلب منه شفاء ابنتها التي تخبطها الشيطان بقوله : «انني لم أرسل الا الى الخراف الضالة من آل اسرائيل » (انجيل متى ١٥ : ٢٤) — أوصى تلاميذه الاحد عشر بقوله : « فاذهبوا وتلمذوا جميع الامم .... وعلموهم أن يحفظوا كل ما أوصيتكم به .... » (انجيل متى ٢٨ : ١٩ — ٢٠) .

وقد تعرض السيد المسيح لحنق اليهود وحقدهم الشديد عليه بسبب توبيخه لهم على «الوطنية الضيقة لتعاليمهم» (انجيل لوقا ٤ : ٢٣ — ٢٩).

٣ — أبناء ابراهيم :

ان الاعتقاد القبلي الكامن في فكرة « الشعب المختار » قد تم تجاوزه من خلال العقيدة الثورية العالمية التي بشر بها السيد المسيح وأكدت الاخوة الانسانية العامة .

ان الامتيازات المستمدة من أو المقامة على روابط عرقية أو منتقلة من جد أو سلف أعلى عام قد فقدت مبرراتها وأساسها في ظل العقيدة الجديدة .

فالقبول البيولوجي لفكرة أو مصطلح « أبناء ابراهيم » قد سفه وسخر منه وتم تحديه بكل جرأة وشدة .

فقد قال القديس يوحنا المعمداني الى « الفريسيين » و « الصدوقيين » : « ولا يخطر ببالكم أن تعللوا النفس فتقولوا : « ان أبانا هو ابراهيم » . أقول لكم : «إن الله قادر على أن يخرج من هذه الحجارة أبناء لابراهيم» (انجيل القديس متى ٣ : ٩) .

وعندما احتج اليهود غير المؤمنين على السيد المسيح قائلين له : « نحن ذرية ابراهيم ، لم نكن يوماً عبيداً لاحد ! فكيف تقول : ستصيرون أحراراً ؟ » . فرد عليهم السيد المسيح : « لو كنتم أبناء ابراهيم لعملتم أعمال ابراهيم » (انجيل القديس يوحنا ٨ : ٣١ — ٥٩).

٤ — اسرائيل :

وكما أن المفهوم البيولوجي للانحدار من ابراهيم عليه السلام مهد الطريق لمفهوم ، كذلك نجد أن مفهوم « اسرائيل الجسد » قد مهد الطريق «لاسرائيل الروح » في التعاليم المسيحية. فقد كتب القديس بولس في (رسالته الى أهل رومية ٩: ٦): « فليس جميع الذين هم من اسرائيل باسرائيل » . وقال بولس في موقع آخر (من نفس هذه الرسالة ١١ : ٢٠، ٢١): « حسن.. انها قضبت لكفرها ، وأنت باق لإيمانك ، فلا تستكبر بل خف ، فلو لم يبق الله على الفروع الطبيعية ، لما كان يبقي عليك ».

٥ ــ ليس « أين » ولكن « في أي روح » :

ومن خلال التفسير الجديد الثوري للمفاهيم القديمة الذي يقدمه الانجيل المسيحي ، فان الاهمية الروحية للامكنة ، كأمكنة ، تتلاشى وتزول نهائياً لتمهد الطريق للتأكيد على الروح . ان الروح وحدها هي التي لها الاهمية . ومن أجل هذا فان المرأة السامرية قد تساءلت قائلة : « قد تعبّد آباؤنا في هذا الجبل ، وانتم تقولون : ان اورشليم هي المكان الذي فيه يجب التعبد ». فأجابها السيد المسيح : « ستأتي ساعة تعبدون فيها .... (الله) لا في هذا الجبل ولا في اورشليم ... ستأتي ساعة بل أتت الآن ، يعبد فيها العباد الصادقون (الله) بالروح والحق .... » (انجيل القديس يوحنا ٤ : ١٩ ــ ٢٥).

(ب)ــ الارض والمدينة ، والهيكل قد فقدت أهميتها الدينية :

ان التأثير المشترك لهذه التفسيرات التي ذكرناها ولغيرها من التأويلات المسيحية المرتبطة بها لمفاهيم العهد القديم ، على محاولات وجهود الصهيونية والمسيحيين المدافعين عنها لتسخير سلطة الكتاب المقدس والاستدلال بنصوصه لتبرير البرنامج العلماني والسياسي للصهيونية ــ يمكن أن نجده مجملاً أحسن إجمال في الكلمات التالية للدكتور « آليس » الذي سبقت الاشارة اليه :

« تحت النظام الديني المسيحي ، قد فقدت الارض والمدينة والهيكل الاهمية التي كانت قد ألحقت وألصقت بها ، في السابق .

حسب شريعة موسى يكاد يكون محتماً على المؤمن الاسرائيلي أن يعيش في أرض كنعان أو قريباً منها . فالخيمة النقالة التي اتخذ اليهود منها هيكلاً متنقلاً في بداية الامر ، واخيراً الهيكل ، كان مركز العبادة لشعبه . وكان مطلوباً مـــن هذا المؤمن أن يذهب الى بيت المقدس للاحتفال بالاعياد الثلاثة السنوية . فبالنسبة له ، مدينة القدس والهيكل لهما معنى وأهمية متميزة .

أما بالنسبة للمسيحي ، سواء أكان من أصل وثني أو من أصل يهودي ، فان كل هذا قد تغير . فان المؤمن اليهودي في نظر المسيحي ، هو في قربه من السماء وهو في الولايات المتحدة الامريكية مثله وهو في مدينة القدس. واليهودي غير المؤمن هو في بعده من السماء وهو في مدينة القدس مثله في البعد عن السماء وهو في مدينة نيويورك أو في مدينة لندن .

فبالنسبة للشخص المسيحي ، سواء أكان من أصل يهودي أو من أصل وثني ، أرض فلسطين له نحوها اهتمام أو ميل عاطفي ، ولكن هذا الميل هو كل شيء .

إنه فقط اليهودي الذي لا يزال يعيش كثيراً أو قليلاً تحت تأثير نظام أو حكم « العهد القديم » هو الذي يعتبر امتلاك الارض أمراً مهماً . وجزء من هذه الاهمية يعود الى افتخار أو اعتزاز عرقي وإلى مطامح وطنية » .

محتويات الكتاب

الصفحة

الكتاب القادم

الأمثال الشعبية في ليبيا

تجميع وتصنيف

محمد حقيق

يصدر أول شهر مايو

الثمن
١٠٠ درهم

الشركة العامة للنشر والتوزيع والاعلان

هذه السلسلة تحقق اشتراكية الثقافة